

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَفِيسْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ أَخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴿٣٥﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَدُونَ ﴿٣٦﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

46-سورة الاحقاف-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ تَلْعَنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرُونَ مِنْ عَلِيمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

(وَبَدَأَ) ظهر (لَهُمْ) يوم القيامة (سَيِّئَاتُ) عقوبات (مَا عَمِلُوا)

(وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ)

(مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) من العذاب الذي كانوا في الدنيا يستهزئون به و بوقوعه و بمن جاء به 33

(وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ) نترككم في العذاب (كَمَا نَفِيسْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا)

نعاملكم معاملة الناسى لكم في النار فإن الجزاء من جنس العمل

(وَمَاؤُنْكُمْ) مفركم و مصيركم (النَّارُ)

(وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) ينصرونكم من عذاب الله و يدفعون عنكم عقابه 34

(ذَلِكُمْ) الذي حصل لكم من العذاب

*مسلم (2968) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ:-

«هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالَوا: لَا

قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟»

قَالُوا: لَا قَالَ: فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا

قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ:-

أَيُّ قُلٍّ (معناه يا فلان وهو ترخيم على خلاف القياس وقيل هي لغة بمعنى فلان) أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَ أَسَوَّدَكَ (أجعلك سيدا على غيرك) وَ أَرْوَّجَكَ وَ أَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَ الْإِبِلَ وَ أَذْرَكَ تَرَأْسُ (تكون رئيس القوم وكبيرهم) وَ تَرْبَعُ؟

(تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنمة وهو ربعها يقال ربعتهم أي أخذت ربع أموالهم ومعناه ألم أجعلك رئيسا مطاعا)

فَيَقُولُ: بَلَى قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟

فَيَقُولُ:- لَا فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي

ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ:- أَيُّ قُلٍّ أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَ أَسَوَّدَكَ

وَ أَرْوَّجَكَ وَ أَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَ الْإِبِلَ وَ أَذْرَكَ تَرَأْسُ وَ تَرْبَعُ

فَيَقُولُ: بَلَى أَيُّ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟

فَيَقُولُ: لَا فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَيَقُولُ:-

يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَ بَكْتَابِكَ وَ بِرُسُلِكَ وَ صَلَّيْتُ وَ صُمْتُ وَ تَصَدَّقْتُ وَ يُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ فَيَقُولُ:-

هَاهُنَا إِذَا (معناه قف ههنا حتى يشهد عليك جوارحك إذ قد صرت منكرا)

(قال القاضي:-معناه تركتك مستريحا لا تحتاج إلى مشقة وتعجب من قولهم اربع على نفسك أي ارفق بها)

قَالَ: ثُمَّ يَقَالُ لَهُ: الْآنَ بَبَعْتُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ وَ يَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟

فَيُخْتَمَ عَلَى فِيهِ وَ يَقَالُ لِفَخْذِهِ وَ لَحْمِهِ وَ عِظَامِهِ:-انْطِقِي فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَ لَحْمُهُ وَ عِظَامُهُ بِعَمَلِهِ

وَ ذَلِكَ لِيُعْذَرَ مِنْ نَفْسِهِ (من الإعذار والمعنى ليزيل الله عذره من قبل نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة أعضائه عليه بحيث لم يبق له عذر يتمسك به)

وَ ذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَ ذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ

(ب) سبب (بِأَنَّهُمْ أَخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُولًا) مع أنها موجبة للجد و الاجتهاد و تلقيها بالسرور و الاستبشار و الفرح.

(وَعَزَّزْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) بزخارفها و لذاتها و شهواتها فاطمأنتم إليها و عملتم لها و تركتم العمل للدار الباقية.

(قَالِيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) و لا يمهلون و لا يردون إلى الدنيا ليعملوا صالحا.

لا يطلب منهم العُتْبَى بل يعذبون بغير حساب ولا عتاب كما تدخل طائفة الجنة بغير حساب ولا عذاب 35

(فَلِلَّهِ الْحَمْدُ) كما ينبغي لجلاله و عظيم سلطانه

(رَبِّ السَّمَوَاتِ وَ رَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

له الحمد على ربوبيته لسائر الخلائق حيث خلقهم و رباهم و أنعم عليهم بالنعم الظاهرة و الباطنة 36

(وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ) له الجلال و العظمة و المجد (فِي السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ)

فالحمد فيه الثناء على الله بصفات الكمال و محبته تعالى و إكرامه و الكبرياء فيها عظمته و جلاله

و العبادة مبنية على ركنين :- 1- محبة الله 2- و الذل له

و هما ناشئان عن العلم بمحامد الله و جلاله و كبريائه.

*مسلم 2620- عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْأَعْرَجِ أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا: -

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ وَ الْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يَنَازِعْنِي عَدْبَتُهُ»

(وَهُوَ الْعَزِيزُ) القاهر لكل شيء

(الْحَكِيمُ)

الذى يضع الأشياء مواضعها فلا يشرع ما يشرعه إلا لحكمة ومصلحة و لا يخلق ما يخلقه إلا لفائدة و منفعة 37

46-تفسير سورة الأحقاف-و هي مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

اثبات القدرة الإلهية و مناقشة الكفار 1-12

(حَمَّ 1 تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)

هذا ثناء منه تعالى على كتابه العزيز و تعظيم لهو فى ضمن ذلك إرشاد العباد إلى الاهتداء بنوره و الإقبال على تدبر آياته و استخراج كنوزه.

* و لما بين إنزال كتابه المتضمن للأمر و النهى ذكر خلقه السماوات و الأرض فجمع بين الخلق و الأمر

(أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) [الأعراف: 54]

كما قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) [الطلاق: 12]

و كما قال تعالى: (يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) [النحل: 2]

* فالله تعالى هو الذي خلق المكلفين و خلق مساكنهم و سخر لهم ما فى السماوات و ما فى الأرض

* ثم أرسل إليهم رسله و أنزل عليهم كتبه و أمرهم و نهاهم و أخبرهم أن هذه الدار دار أعمال و ممر للعمال

لا دار إقامة لا يرحل عنها أهلها و أنهم سينتقلون منها إلى دار الإقامة و القرار و موطن الخلود و الدوام

* و إنما أعمالهم التي عملوها فى هذه الدار سيجدون ثوابها فى تلك الدار كاملاً موفراً.

و أقام تعالى الأدلة على تلك الدار و أذاق العباد نموذجاً من الثواب و العقاب العاجل ليكون أدعى لهم إلى

طلب المحبوب و الهرب من المرهوب 2

* و لهذا قال هنا: (مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ) لا عبثاً و لا سدى بل لـ:—

1-يعرف العباد عظمة خالقهما

2-و يستدلوا على كماله و يعلموا أن الذى خلقهما على عظمهما قادر على أن يعيد العباد بعد موتهم للجزاء

(و) أن خلقهما و بقاءهما مقدر إلى (وَأَجَلٍ مُّسَمًّى) معلوم عنده

* فلما أخبر بذلك -و هو أصدق القائلين و أقام الدليل و أنار السبيل أخبر -مع ذلك-

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أَنْذَرُوا مُعْرِضُونَ)

أن طائفة من الخلق قد أبوا إلا إعراضاً عن الحق و صدوا عن دعوة الرسل فقال:-

* و أما الذين آمنوا فلما علموا حقيقة الحال قبلوا وصايا ربهم و تلقوها بالقبول والتسليم و قابلوها بالانقياد

و التعظيم ففازوا بكل خير و اندفع عنهم كل شر 3

(قُلْ) لهؤلاء الذين أشركوا بالله أوثاننا و أندادا لا تملك نفعا و لا ضرا ولا موتا ولا حياة و لا نشورا-مبيننا عجز

أوثانهم و أنها لا تستحق شيئا من العبادة-(أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)

(أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ) نصيب-(و ليست بمعنى عبادة غير الله معه)

(فِي السَّمَوَاتِ) هل خلقوا من أجرام السماوات و الأرض شيئا؟

هل خلقوا جبالا؟

هل أجروا أنهارا؟

هل نشروا حيوانا؟

هل أنبتوا أشجارا؟

هل كان منهم معاونة على خلق شيء من ذلك؟

لا شيء من ذلك بإقرارهم على أنفسهم فضلا عن غيرهم

*فهذا دليل عقلي قاطع على أن كل من سوى الله لعبادته باطلة... ثم ذكر انتفاء الدليل النقلى فقال:-

(أَتُنَوِّى بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا) الكتاب يدعو إلى الشرك

(أَوْ أَنْزَلْنَا مِنْ عَلِيمٍ) موروث عن الرسل يأمر بذلك

(إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)

من المعلوم أنهم عاجزون أن يأتوا عن أحد من الرسل بدليل يدل على ذلك بل نجزم و نتيقن أن جميع الرسل

دعوا إلى توحيد ربهم و نهوا عن الشرك به و هى أعظم ما يؤثر عنهم من العلم

قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [الاحقاف: 36]

و كل رسول قال لقومه: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف: 59]

-فعلم أن جدال المشركين فى شركهم غير مستندين فيه على برهان و لا دليل

-و إنما اعتمدوا على ظنون كاذبة و آراء كاسدة و عقول فاسدة.

يدلك على فسادها استقراء أحوالهم و تتبع علومهم و أعمالهم و النظر فى حال من أفنوا أعمارهم بعبادته

هل أفادهم شيئا فى الدنيا أو فى الآخرة؟ 4

و لهذا قال تعالى:-

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)

مدة مقامه فى الدنيا لا ينتفع به بمشقال ذرة

(وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ)

لا يسمعون منهم دعاء و لا يجيبون لهم نداء هذا حالهم فى الدنيا و يوم القيامة يكفرون بشركهم 5

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنَادِيَنَّا بَيْنَنَّا وَبَيْنَهُمْ ءَايَتُنَا بِآيَاتِنَا قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُفِثَ بِهِ قَوْلٌ مِنْ آلِهَةٍ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَثَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحِمْنَاهُ هَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

(وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً) يلعن بعضهم بعضا و يتبرأ بعضهم من بعض

(وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ)

كما قال الله (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [العنكبوت: 17]
وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُفْرُ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمُ مِنْ نَاصِرِينَ) [العنكبوت: 25] 6

(وَإِذَا نُنَادِيَنَّا عَلَيْهِمْ) على المكذبين

(ءَايَتُنَا بِآيَاتِنَا) بحيث تكون على وجه لا يمتري بها و لا يشك في وقوعها و حقها لم تفدهم خيرا بل قامت عليهم بذلك الحجة و يقولون من إفكهم و افتراءهم

(قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) ظاهر لا شك فيه

* و هذا من باب قلب الحقائق الذي لا يروج إلا على ضعفاء العقول

و إلا فبين الحق الذي جاء به الرسول ﷺ و بين السحر من المنافاة و المخالفة أعظم مما بين السماء و الأرض و كيف يقاس الحق -الذي علا و ارتفع ارتفاعا على الأفلاك و فاق بضوئه و نوره نور الشمس و قامت الأدلة الأفقية و النفسية عليه

و أقرت به و أذعنت أولو البصائر و العقول الرزينة- بالباطل الذى هو السحر الذى لا يصدر إلا من ضال ظالم خبيث النفس خبيث العمل!؟

فهو مناسب له و موافق لحاله وهل هذا إلا من البهرجة؟

أى: افترى محمد هذا القرآن من عند نفسه فليس هو من عند الله 7

(قُلْ) لهم:- (إِنْ أَفْتَرَيْتُهُمْ)

فإن الله على قادر و بما تفيضون فيه عالم فكيف لم يعاقبنى على افترائى الذى زعمتم؟

(أَفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) فهل تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَنِى اللَّهُ بِضُرٍّ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ

* كما قال الله (قُلْ إِنْى لَنْ يُجِيرَنِى مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَظًا 2 إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ) [الجن]

(هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ) أى هو تعالى أعلم بما تخوضون فيه من القدح و الطعن فى و فى القرآن

(كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ)

فلو كنت متقولاً عليه لأخذ منى باليمين و لعاقبنى عقاباً يراه كل أحد لأن هذا أعظم أنواع الافتراء لو كنت متقولاً

(وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) ثم دعاهم إلى التوبة مع ما صدر منهم من معاندة الحق و مخاصمته

فقال: أى: فتوبوا إليه و أقلعوا عما أنتم فيه يغفر لكم ذنوبكم و يرحمكم فيوفقكم للخير و يشيكم جزيل الأجر.

* و هى كالاية (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا 5 قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) [الفرقان] 8

(قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ) لست بأول رسول جاءكم حتى تستغربوا رسالتى و تستنكروا دعوتى

فقد تقدم من الرسل و الأنبياء من وافقت دعوتى دعوتهم فلاى شىء تنكرون رسالتى؟

(وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ)

لست إلا بشرا ليس بيدى من الأمر شىء و الله تعالى هو المتصرف بى و بكم الحاكم على و عليكم

(إِنْ أَنِيعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ) و لست الآتى بالشىء من عندى

(وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ)

فإن قبلتم رسالتى و أحببتم دعوتى فهو حظكم و نصيبكم فى الدنيا و الآخرة

و إن رددتم ذلك على فحسابكم على الله و قد أنذرتكم و من أنذر فقد أعذر.

* وَ قَوْلُهُ: (وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ) قَالَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ:-

نَزَلَ بَعْدَهَا (لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) [الفتح: 2] .

وَهَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ وَ الْحَسَنُ وَ قَتَادَةُ: إِنَّهَا مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ: (لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) قَالُوا: وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: هَذَا قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ مَا هُوَ فَاعِلٌ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا هُوَ فَاعِلٌ بِنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (لِيَدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ) [الفتح: 5]

هَكَذَا قَالَ وَ الَّذِي هُوَ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا: هَنِيئًا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا لَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ.

وَ قَالَ الضَّحَّاكُ: (وَمَا أَذْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ) :- مَا أَذْرِي بِمَاذَا أُوْمَرُ وَ بِمَاذَا أُنْهَى بَعْدَ هَذَا؟ وَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْهَذَلِيُّ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فِي قَوْلِهِ: (وَمَا أَذْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ) قَالَ: أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَمَعَاذَ اللَّهِ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ وَلَكِنْ قَالَ: لَا أَذْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ فِي الدُّنْيَا أَخْرَجَ كَمَا أَخْرَجَتِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِي؟ أَمْ أَقْتُلُ كَمَا قُتِلَتِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِي؟ وَلَا أَذْرِي أَيُخَسَفُ بِكُمْ أَوْ تُرْمُونَ بِالْحِجَارَةِ؟ وَ هَذَا الْقَوْلُ هُوَ الَّذِي عَوَّلَ عَلَيْهِ ابْنُ جَرِيرٍ وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ وَ لَا شَكٌّ أَنَّ هَذَا هُوَ اللَّائِقُ بِهِ ﷺ فَإِنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخِرَةِ جَازِمٌ أَنَّهُ يَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ هُوَ وَ مَنْ اتَّبَعَهُ وَ أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَدْرِ مَا كَانَ يَتَوَلَّى إِلَيْهِ أَمْرُهُ وَ أَمْرُ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ إِلَى مَاذَا:-

أَيُّؤْمِنُونَ أَمْ يَكْفُرُونَ فَيُعَذَّبُونَ فَيُسْتَأْصَلُونَ بِكُفْرِهِمْ

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ) (أخبروني)

(إِنْ كَانَ) لو كان هذا القرآن (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ)

(وَشَهِدَ شَاهِدٌ) أي عبد الله بن سلام ﷺ على صحته من الموفقين من أهل الكتاب

(مَنْ بَنَى إِسْرَءِيلَ) الذين عندهم من الحق ما يعرفون أنه الحق (عَلَى مِثْلِهِ)

(فَتَأْمَنَ) فآمنوا به و اهتموا فتطابقت أنباء الأنبياء و أتباعهم النبلاء

(وَأَسْتَكْبَرْتُمْ) أيها الجهلاء الأغبياء فهل هذا إلا أعظم الظلم و أشد الكفر؟

*البخارى 3812- عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:- مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:-

لَا أَحَدٌ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ

قَالَ: وَ فِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ) [الأحقاف: 10] الْآيَةُ

قَالَ: «لَا أَذْرِي قَالَ مَالِكٌ الْآيَةُ أَوْ فِي الْحَدِيثِ»

-فان هذه الآية مكية نزلت قبل اسلام عبد الله بن سلام و هى كقوله تعالى:-

(وَإِذَا يُنَادِي عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) [القصص: 53]

(قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ

وَعَدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا) [الإسراء]

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) و من الظلم الاستكبار عن الحق بعد التمكن منه.

*الصحيح المسند من اسباب النزول عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:-

انطلق النبي ﷺ يوماً وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله ﷺ: يا معشر اليهود اروني اثني عشر رجلاً يشهدون أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه " قال: فأسكتوا ما أجابه منهم أحد ثم رد عليهم فلم يجبه أحد ثم ثلث فلم يجبه أحد فقال:- أبيتكم فو الله إني لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا النبي المصطفى آمنتكم أو كذبتكم " ثم انصرف وأنا معه حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا:- كما أنت يا محمد. قال: فأقبل. فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك ولا أفقه منك ولا من أبيك قبلك ولا من جدك قبل أبيك.

قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة قالوا:- كذبت ثم ردوا عليه قوله وقالوا فيه شراً قال رسول الله ﷺ:- كذبتكم لن يقبل قولكم أما أنفاً فتشنون عليه من الخير ما أثنتكم ولما آمن أكذبتكموه وقلتم فيه ما قلتم فلن يقبل قولكم

قال:- فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله ﷺ وأنا وعبد الله بن سلام وأنزل الله عز وجل فيه:- (قل أرايتم إن كان عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم

الظالمين) [الأحقاف: 10] 10

(وقال الذين كفروا للذين آمنوا) أي: قال الكفار بالحق معاندين له و رادين لدعوته:-

(لو كان خيراً ما سبقونا إليه) أي ما سبقنا إليه المؤمنون

أي: لكننا أول مبادر به و سابق إليه و هذا من البهجة في مكان
فأي دليل يدل على أن علامة الحق سبق المكذبين به للمؤمنين؟

هل هم أركى نفوساً؟

أم أكمل عقولاً؟

أم الهدى بأيديهم؟

و لكن هذا الكلام الذي صدر منهم يعزون به أنفسهم بمنزلة من لم يقدر على الشيء ثم طفق يذمه أي: قالوا عن المؤمنين بالقرآن: لو كان القرآن خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه يعنون بلالاً و عمارة و صهيبة و خباباً و أشباههم و أقرانهم من المستضعفين و العبيد و الإماء و ما ذاك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية. و قد غلطوا في ذلك غلطاً فاحشاً و أخطئوا خطأً بيناً كما قال تعالى:-

(وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا هؤلاء ممن الله عليهم من بيننا) [الأنعام: 53] أي: يتعجبون:-

كيف اهتدى هؤلاء دوننا و لهذا قالوا: (لو كان خيراً ما سبقونا إليه)

و أما أهل السنة و الجماعة فيقولون في كل فعل و قول لم يثبت عن الصحابة:

هو بدعة لأنه لو كان خيراً لسبقونا إليه لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا و قد بادروا إليها

و لهذا قال: **(وَلِإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا)**

أى: هذا السبب الذى دعاهم إليه أنهم لما لم يهتدوا **(بِهِ)** بهذا القرآن و فاتهم أعظم المواهب و أجل الرغائب

(فَسَيَقُولُونَ هَذَا) قدحوا فيه بأنه (إِفْكٌ) كذب (قَدِيمٌ) و هو الحق الذى لا شك فيه و لا امتراء يعتريه 11

(وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى)

الذى قد وافق الكتب السماوية خصوصا أكملها و أفضلها بعد القرآن و هى التوراة التى أنزلها الله على موسى

(إِمَامًا وَرَحْمَةً) أى: يقتدى بها بنو إسرائيل و يهتدون بها فيحصل لهم خير الدنيا و الآخرة.

(وَهَذَا) القرآن (كَتَبَ مُصَدِّقٌ) للكتب السابقة شهد بصدقها و صدقها بموافقتها لها

و جعله الله **(لِسَانًا عَرَبِيًّا)** ليسهل تناوله و ييسر تذكره

(يُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) أنفسهم بالكفر و الفسوق و العصيان إن استمروا على ظلمهم بالعذاب الويل

(وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) و يبشر المحسنين في عبادة الخالق و فى نفع المخلوقين بالثواب الجزيل فى الدنيا

جزاء المتقين 13-14

و الآخرة و يذكر الأعمال التى ينذر عنها و الأعمال التى يبشر بها **12**

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ) إن الذين أقروا بربهم و شهدوا له بالوحدانية و التزموا طاعته و داموا على ذلك

(ثُمَّ اسْتَقَمُوا) مدة حياتهم

(فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) من كل شر أمامهم (فيما يستقبلون)

(وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) على ما خلفوا وراءهم (على ما خلفوا) **13**

(أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ) أى: أهلها الملازمون لها الذين لا ييغون عنها حولا و لا يريدون بها بدلا

(خَالِدِينَ فِيهَا جزاء بما كانوا يعملون) من الإيمان بالله المقتضى للأعمال الصالحة التى استقاموا عليها **14**

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا^٤
 حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ
 وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَلِإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ
 أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾
 وَالَّذِي قَالَ لِيَوْلَدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَايِنِ
 إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتِ مِنْ قَبْلِهِمْ
 مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا لِيُوقِفَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ ﴿١٩﴾
 وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذَهَبْتُمْ طِبْعَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ
 بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِذَا كُنْتُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٠﴾

الوصة بالوالدين 15-16

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا^٤)

كقوله (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا
 تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) [الإسراء: 23]

و قوله (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ) [لقمان: 14]

*أبي داود الطيالسي 205 - عن: مُضْعَبِ بْنِ سَعْدٍ... قَالَ: -وَقَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ:
 أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَةِ الْوَالِدَيْنِ فَلَا أَكُلُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّىٰ تَكْفُرَ بِاللَّهِ فَاْمْتَنَعْتُ مِنَ الطَّعَامِ
 وَ الشَّرَابِ حَتَّىٰ جَعَلُوا يَشْجُرُونَ فَاهَا بِالْعَصَا وَ نَزَلَتْ

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا) [العنكبوت: 8]

*هذا من لطفه تعالى بعباده و شكره للوالدين أن وصى الأولاد و عهد إليهم أن يحسنوا إلى والديهم بالقول
 اللطيف و الكلام اللين و بذل المال والنفقة و غير ذلك من وجوه الإحسان.

(حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ^٤)

ثم نبه على ذكر السبب الموجب لذلك فذكر ما تحملته الأم من ولدها وما قاسته من المكاره وقت حملها
 ثم مشقة ولادتها المشقة الكبيرة ثم مشقة الرضاع و خدمة الحضانه و ليست المذكورات مدة يسيرة ساعة
 أو ساعتين و إنما ذلك مدة طويلة قدرها

(ثَلَاثُونَ شَهْرًا^٤) للحمل تسعة أشهر و نحوها و الباقي للرضاع هذا هو الغالب.

و يستدل بهذه الآية مع قوله: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأن مدة
 الرضاع -و هي سنتان- إذا سقطت منها السنتان بقي ستة أشهر مدة للحمل

(حَقَّ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) نهاية قوته و شبابه و كمال عقله

(وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي) ألهمني و وفقني

(أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي)

نعم الدين و نعم الدنيا و شكره بصرف النعم في طاعة مسديها و موليتها و مقابلته منته بالاعتراف و العجز عن الشكر و الاجتهاد في الشاء بها على الله و النعم على الوالدين نعم على أولادهم وذريتهم لأنهم لا بد أن ينالهم منها و من أسبابها و آثارها خصوصا نعم الدين فإن صلاح الوالدين بالعلم و العمل من أعظم الأسباب لصلاح أولادهم.

(وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ)

تقبله عني بأن يكون جامعا لما يصلحه سالما مما يفسده فهذا العمل الذي يرضاه الله و يقبله و يثيب عليه (وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي)

لما دعا لنفسه بالصلاح دعا لذريته أن يصلح الله أحوالهم و ذكر أن صلاحهم يعود نفعه على والديهم لقوله:-

(إِنِّي تَبْتُ إِلَيْكَ) من الذنوب و المعاصي و رجعت إلى طاعتك

(وَلِيٍّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) 15

(أُولَئِكَ) الذين ذكرت أوصافهم

(الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا) و هو الطاعات لأنهم يعملون أيضا غيرها.

(وَنَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ) في جملة

(فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ) فحصل لهم الخير و المحبوب و زال عنهم الشر و المكروه.

(وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ)

هذا الوعد الذي وعدناهم هو وعد صادق من أصدق القائلين الذي لا يخلف الميعاد 16

*لما ذكر تعالى حال الصالح البار لوالديه ذكر حالة العاق و أنها شر الحالات فقال:-

(وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ) إذ دعواهما إلى الإيمان بالله و اليوم الآخر و خوفاه الجزاء.

جزاء العاق و المستكبرين 17-20

*و هذا أعظم إحسان يصدر من الوالدين لولدهما أن يدعواهما إلى ما فيه سعادته الأبدية و فلاحه السرمدى فقابلهما بأقبح مقابلة فقال:-

(أَفِي) نتنأ و قبحاً و تبا (لَكُمَا) و لما جئتما به.

*ثم ذكر وجه استبعاده وإنكاره لذلك فقال:- (أَتَعِدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ) من قبري إلى يوم القيامة

(وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي)

على التكذيب و سلفوا على الكفر و هم الأئمة المقتدى بهم لكل كفور و جهول و معاند؟

(وَهُمَا) أى: والداه

(يَسْتَعِثَّانِ اللَّهَ) عليه و يقولان له:

(وَيْلَكَ يَآمِنُ) يبذلان غاية جهدهما و يسعيان فى هدايته أشد السعى حتى إنهما -من حرصهما عليه- أنهما

يستغيثان الله له استغاثة الغريق و يسألانه سؤال الشريق و يعذلان ولدهما و يتوجعان له و يبينان له الحق

فيقولان:-

(إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ)

ثم يقيمان عليه من الأدلة ما أمكنهما و ولدهما لا يزداد إلا عتوا و نفورا و استكبارا عن الحق و قدحا فيه

(فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا) منقولاً من (أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ) لكتب المتقدمين ليس من عند الله و لا أوحاه الله إلى رسوله

* و كل أحد يعلم أن محمدا ﷺ أُمى لا يكتب و لا يقرأ و لا تعلم من أحد فمن أين يتعلمه؟

و أنى للخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا؟ 17

(أُولَئِكَ) بهذه الحالة الذميمة

(الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) حقت عليهم كلمة العذاب

(فِي) جملة (أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنِّ وَالْإِنِّ) على الكفر و التكذيب

فسيدخل هؤلاء فى غمارهم و سيغرقون فى تيارهم.

(لَا تَنْتُمْ كَانُوا خَسِرِينَ) و الخسران فوات رأس مال الإنسان

و إذا فقد رأس ماله فالأرباح من باب أولى و أخرى

فهم قد فاتهم الإيمان و لم يحصلوا على شىء من النعيم و لا سلموا من عذاب الجحيم 18

(وَلِكُلٍّ) من أهل الخير و أهل الشر

(دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا) كل على حسب مرتبته من الخير و الشر و منازلهم فى الدار الآخرة على قدر أعمالهم

و لهذا قال:- (وَلِيُوقِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) بأن لا يزداد فى سيئاتهم و لا ينقص من حسناتهم 19

(وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) يذكر تعالى حال الكفار عند عرضهم على النار حين يوبخون و يقرعون

فيقال لهم: **(أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا)**

حيث اطمأننتم إلى الدنيا و اغتررتم بلذاتها و رضيتم بشهواتها و ألهتكم طيباتها عن السعى لآخرتكم و تمتعتم تمتع الأنعام السارحة فهي حظكم من آخرتكم

(فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) الخزي و الهوان

أي: العذاب الشديد الذي يهينكم و يفضحكم بما كنتم تقولون على الله غير الحق

(بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)

تنسبون الطريق الضالة التي أنتم عليها إلى الله و إلى حكمه و أنتم كذبة في ذلك

(وَمَا كُنْتُمْ نَفْسُوقِينَ) تتكبرون عن طاعته

فجمعوا بين قول الباطل و العمل بالباطل و الكذب على الله بنسبته إلى رضاه و القدح في الحق و الاستكبار

عنه فعوقبوا أشد العقوبة **20**

.....

وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ
 إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُؤْفِكَ عَنْ آلِهَتِنَا فَأَيْنَا بِمَا نَعُدُّكَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾
 قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبْلِغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ
 قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُثْمِرٌ نَابِلٌ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا
 فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيهَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ
 وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ
 إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى
 وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً
 بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

(وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ) إلى آخر القصة

أى: (وَأَذْكُرْ) بالثناء الجميل

(أَخَا عَادٍ) هو هود عليه السلام حيث كان من الرسل الكرام الذين فضلهم الله تعالى بالدعوة إلى دينه و إرشاد الخلق إليه.

(إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ) و هم عاد

(بِالْأَحْقَافِ) فى منازلهم المعروفة بالأحقاف و هى: الرمال الكثيرة فى أرض اليمن.

(وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) فلم يكن بدعا منهم و لا مخالفا لهم قائلا لهم:

(أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) فأمرهم بعبادة الله الجامعة لكل قول سديد و زعمل حميد و نهاهم عن الشرك و التنديد

(إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) و خوفهم - إن لم يطيعوه- العذاب الشديد فلم تفد فيهم تلك الدعوة 21

(قَالُوا أَجِئْنَا لِنُؤْفِكَ عَنْ آلِهَتِنَا فَأَيْنَا بِمَا نَعُدُّكَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)

ليس لك من القصد ولا معك من الحق إلا أنك حسدتنا على آلهتنا فأردت أن تصرفنا عنها.

(فَأَيْنَا بِمَا نَعُدُّكَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) و هذا غاية الجهل و العناد 22

(قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ) فهو الذى بيده أزمة الأمور و مقاليدها و هو الذى يأتيكم بالعذاب إن شاء.

(وَأُبْلِغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ) ليس على إلا البلاغ المبين

(وَلَنَكْفِيَنَّ أَزْدِكُمْ قَوْمًا بِجَهْلُهُمْ)

فلذلك صدر منكم ما صدر من هذه الجرأة الشديدة فأرسل الله عليهم العذاب العظيم و هو الريح التي دمرتهم و أهلكتهم 23

و لهذا قال:- (فَلَمَّا رَأَوْهُ) العذاب

(عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ)

معترضاً كالسحاب قد أقبل على أوديتهم التي تسيل فتسقى نوابتهم و يشربون من آبارها و غدرانها (قَالُوا) مستبشرين:-

(هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرٌ) هذا السحاب سيمطرنا.

قال تعالى: (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ)

هذا الذى جنيتم به على أنفسكم حيث قلتم: (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ) آية 22

(رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) 24

(تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ) تمر عليه من شدتها و نحسها فسلطها الله عليهم

(سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَّخْلٍ خَاوِيَةٍ) [الحاقة: 7]

(بِأَمْرِ رَبِّهَا) بإذنه و مشيئته .

(فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ) قد تلفت مواشيهم و أموالهم و أنفسهم.

(كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) بسبب جرمهم و ظلمهم.

*البخارى 4829 - عن عائشة: وَ كَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ قَالَتْ: -
يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرَحُوا رَجَاءً أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ وَ أَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَوَاهِيَةُ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ مَا يُؤْمِنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟ عَذَّبَ قَوْمٌ بِالرَّيْحِ وَ قَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ

فَقَالُوا: (هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرٌ) 25

* هذا مع أن الله تعالى قد أدر عليهم النعم العظيمة فلم يشكروه و لا ذكروه و لهذا قال:-

(وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ) فى الأرض

(فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ) يتناولون طبياتها و يتمتعون بشهواتها و عمرناهم عمرا يتذكر فيه من تذكر و يتعظ فيه المهتدى

أى: و لقد مكنا عادا كما مكناكم يا هؤلاء المخاطبون

أى: فلا تحسبوا أن ما مكناكم فيه مختص بكم و أنه سيدفع عنكم من عذاب الله شيئا

بل غيركم أعظم منكم تمكيناً فلم تغن عنهم أموالهم و لا أولادهم و لا جنودهم من الله شيئاً.

(فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَ أَبْصَرًا وَ آفِئَةً)

أى: لا قصور فى أسماعهم ولا أبصارهم ولا أذهانهم حتى يقال إنهم تركوا الحق جهلاً منهم و عدم تمكن من العلم به و لا خلل فى عقولهم و لكن التوفيق بيد الله.

(فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا آفِئَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ) لا قليل و لا كثير و ذلك بسبب أنهم

(إِذْ كَانُوا يَمْجَدُونَ بِثَابِتِ اللَّهِ) الدالة على توحيده و إفراده بالعبادة.

(وَحَاقَ) نزل

(بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) من العذاب الذى يكذبون بوقوعه و يستهزئون بالرسل الذين حذروهم منه 26

(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ)

يحذر تعالى مشركى العرب و غيرهم بإهلاك الأمم المكذبين الذين هم حول ديارهم بل كثير منهم فى جزيرة العرب كعاد و ثمود و نحوهم

(وَصَرَفْنَا) نَوَّعْنَا لهم (الْآيَاتِ) من كل وجه

(لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عما هم عليه من الكفر و التكذيب 27

* فلما لم يؤمنوا أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر و لم تنفعهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء

و لهذا قال هنا: (فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً) يتقربون إليهم و يتألهونهم لرجاء نفعهم.

(بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ) فلم يجيبوهم و لا دفعوا عنهم

(وَذَلِكَ إِنْكُهُمْ) كذبهم

(وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ)

من الكذب الذى يمتنون به أنفسهم حيث يزعمون أنهم على الحق و أن أعمالهم ستنفعهم فضلت و بطلت 28

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ
 وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَتَقَوَّمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
 يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَتَقَوَّمَنَا أَلَيْبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ
 وَيُجْزِكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ
 أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدْرِ
 عَلَىٰ أَن يُخَيِّقَ الْمَوْقِفَ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ
 قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ
 وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلُغْ
 فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

*الصحيح الميسر من أسباب النزول-الحاكم عن زر عن عبد الله قال:

هَبَطُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ بَبْطَنٍ نَخَلَةٍ فَلَمَّا سَمِعُوهُ قَالُوا: أَنْصِتُوا.

قَالُوا: صَه. وَ كَانُوا تِسْعَةً أَحَدُهُمْ زَوْبَعَةً فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا

حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا) [الأحقاف: 29] الآية إِلَى (ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [آل عمران: 164]

إيمان بعض الجن بالاسلام 29-32

(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ)

كان الله تعالى قد أرسل رسوله محمدا ﷺ إلى الخلق إنسهم و جنهم و كان لا بد من إبلاغ الجميع لدعوة النبوة
 و الرسالة.

فالإنس يمكنه عليه الصلاة و السلام دعوتهم و إنذارهم

و أما الجن فصرفهم الله إليه بقدرته و أرسل إليه (نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ)

(فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا) أى: وصى بعضهم بعضا بذلك

(فَلَمَّا قُضِيَ) و قد وعوه و أثر ذلك فيهم

(وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ)

نصحا منهم لهم و إقامة لحجة الله عليهم و قيضهم الله معونة لرسوله ﷺ فى نشر دعوته فى الجن 29

(قَالُوا يَتَقَوَّمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ)

لأن كتاب موسى أصل للإنجيل و عمدة لبني إسرائيل فى أحكام الشرع

و إنما الإنجيل متمم و مكمل و مغير لبعض الأحكام.

(مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي) هذا الكتاب الذى سمعناه

(إِلَى الْحَقِّ) و هو الصواب فى كل مطلوب و خبر

(وَالَّذِي طَرِيقُ مُسْتَقِيمٍ) موصل إلى الله و إلى جنته من العلم بالله و بأحكامه الدينية و أحكام الجزاء 30

* فلما مدحوا القرآن و بينوا محله و مرتبته دعوهم إلى الإيمان به فقالوا:-

(يَقَوْمَنَا) أى الذى لا يدعو إلا إلى ربه لا يدعوكم إلى غرض من أغراضه و لا هوى

* فيه دلالة على ان محمدا أرسل الى الثقلين و قرأ عليهم السورة التى فيها خطاب الفريقين و وعدهم و وعيدهم و هى سورة الرحمن و لهذا قال :-

(أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ) و إنما يدعوكم إلى ربكم ليشيكم و يزيل عنكم كل شر و مكروه و لهذا قالوا:-

(يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجَزِّكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)

و إذا أجارهم من العذاب الأليم فما ثم بعد ذلك إلا النعيم فهذا جزاء من أجاب داعى الله 31

(وَمَنْ لَا يُحِبَّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ)

فإن الله على كل شىء قدير فلا يفوته هارب و لا يغالبه مغالب.

(وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءٌ) أنصار

(أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)

و أى ضلال أبلغ من ضلال من نادته الرسل و وصلت إليه النذر بالآيات البينات و الحجج المتواترات فأعرض و استكبر؟ "

* البخارى 773 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:-

انطلق النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ (ما فوق الواحد) مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ (قاصدين) إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ (اسم سوق للعرب بناحية مكة)

وَ قَدْ حِيلَ (حجز) بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ

وَ أُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟

فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ (ما كانوا يسترقونه من أخبار تتكلم بها الملائكة في السماء) وَ أُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ

(جمع شهاب وهو شعلة نار ساطعة كأنها كوكب منقوض) قَالُوا:-

مَا حَالُ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا

فَانظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ

فَانصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةٍ (مكة) إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَ هُوَ بِنَخْلَةٍ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَ هُوَ يُصَلِّي

بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ فَقَالُوا:-

هَذَا وَ اللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَهَنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ

وَقَالُوا يَا قَوْمَنَا: (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) [الجن: 2]

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: (قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ) [الجن: 1] وَإِنَّمَا أَوْحَى إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ

*مسلم (450) عَنْ عَامِرٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَلْقَمَةَ هَلْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟

قَالَ: فَقَالَ عَلْقَمَةُ أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ: هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟

قَالَ: لَا وَ لَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَ الشَّعَابِ

(في المصباح الأودية جمع الوادي وهو كل منفرج بين جبال يكون منفذا للسيل والشعاب جمع شعب بالكسر وهو الطريق وقيل الطريق في الجبل)

فَقُلْنَا: اسْتَطِيرَ (طارت به الجن) أَوْ اغْتِيلَ (قتل سرا والغيلة بالكسر هي القتل خفية)

قَالَ: فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءَ مِنْ قِبَلِ حِرَاءٍ.

قَالَ: فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ.

فَقَالَ: «أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ»

قَالَ: فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَ آثَارَ نِيرَانِهِمْ وَ سَأَلُوهُ الرَّادَ

فَقَالَ: لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَ كُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفَ لِدَوَابِّكُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامٌ إِخْوَانِكُمْ»

*البخارى 3860 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِدَاوَةً لِيُوضُوهُ وَ حَاجَتِهِ

فَبَيْنَمَا هُوَ يَتْبَعُهُ بِهَا فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» فَقَالَ: أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ فَقَالَ:

«ابْغِنِي أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضُ بِهَا وَ لَا تَأْتِنِي بِعَظْمٍ وَ لَا بِرُوثَةٍ»

فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ أَحْمَلُهَا فِي طَرَفِ ثَوْبِي حَتَّى وَضَعْتُهَا إِلَى جَنْبِهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مَشَيْتُ

فَقُلْتُ: مَا بِأَلِ الْعَظْمِ وَ الرُّوثَةِ؟ (لهيتني عن الإتيان بها للاستنجاء) قَالَ:

«هُمَا مِنْ طَعَامِ الْجِنِّ وَ إِنَّهُ أَتَانِي وَفَدَّ جَنِّ نَصِيبِينَ وَ نِعَمَ الْجِنِّ

فَسَأَلُونِي الرَّادَ فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ لَا يَمُرُّوا بِعَظْمٍ وَلَا بِرُوثَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا»

(حقيقة بخلق الله تعالى أو أنها هي تكون طعاما أو العظم طعام لهم والروث علف لدوابهم كما ورد والله تعالى ورسوله أعلم 32)

(أَوَلَمْ يَرَوْا) أَيْ: هَؤُلَاءِ الْمُنْكَرُونَ لِلْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُسْتَبْعِدُونَ لِقِيَامِ الْأَجْسَادِ يَوْمَ الْمَعَادِ

اثبات البعث و تهديد منكريه 33-35

(أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَئِمْ) يعجز

(بِخَلْقِهِنَّ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى)

أَيْ: وَ لَمْ يَكْرُثْ خَلْقُهُنَّ بَلْ قَالَ لَهَا: "كُنِي" فَكَانَتْ بِلاَ مُمَانَعَةٍ وَ لَا مُخَالَفَةٍ بَلْ طَائِعَةً مُجِيبَةً خَائِفَةً وَجِلَّةً

أَفَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى؟ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:

(لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [غافر: 57]

وَ لِهَذَا قَالَ: — (بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) 33

(وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ)

أَمَّا هَذَا حَقٌّ؟ أَمْ فَسِحْرٌ هَذَا؟ أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ؟

*هذا استدلال منه تعالى على الإعادة بعد الموت بما هو أبلغ منها و هو أنه الذي خلق السماوات و الأرض

على عظمهما و سعتهما و إتقان خلقهما من دون أن يكثر بذلك و لم يعى بخلقهن

* فكيف تعجزه إعادتك بعد موتكم و هو على كل شيء قدير؟

يخبر تعالى عن حال الكفار الفظيعة عند عرضهم على النار التي كانوا يكذبون بها و أنهم يوبخون

و يقال لهم: (أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ) فقد حضرتموه و شاهدتموه عيانا؟

(قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا) فاعترفوا بذنبهم و تبين كذبهم

(قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ) عذابا لازما دائما كما كان كفركم صفة لازمة

(بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) 34

(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) نُوحٌ وَ إِبْرَاهِيمُ وَ مُوسَى وَ عِيسَى وَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ ﷺ

* ثم أمر تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له

و أن لا يزال داعيا لهم إلى الله و أن يقتدى بصبر أولى العزم من المرسلين سادات الخلق أولى العزائم و الهمم

العالية الذين عظم صبرهم

و تم يقينهم فهم أحق الخلق بالأسوة بهم و القفو لآثارهم و الاهتداء بمنارهم.

فامتثل ﷺ لأمر ربه فصبر صبورا لم يصبره نبي قبله حتى رماه المعادون له عن قوس واحدة

و قاموا جميعا بصدده عن الدعوة إلى الله و فعلوا ما يمكنهم من المعادة و المحاربة

و هو ﷺ لم يزل صادعا بأمر الله مقيما على جهاد أعداء الله صابرا على ما يناله من الأذى

حتى مكن الله له في الأرض و أظهر دينه على سائر الأديان و أمته على الأمم فصلى الله عليه وسلم تسليما.

(وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَّهُمْ) لهؤلاء المكذبين المستعجلين للعذاب فإن هذا من جهلهم و حمقهم فلا يستخفنك بجهلهم

و لا يحملك ما ترى من استعجالهم على أن تدعو الله عليهم بذلك فإن كل ما هو آت قريب

كقوله (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهْلُكُمْ قَلِيلًا) [المزمل: 11]

و كقوله (فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمْهْلُهُمْ رُودًا) [الطارق: 17] و (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا) في الدنيا

كقوله: (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا) [النازعات: 46]

(كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ)

فلا يحزنك تمتعهم القليل و هم صائرون إلى العذاب الوبيل.

(بَلِّغْ) أى: هذه الدنيا متاعها و شهوتها و لذاتها بلغة منغصة و دفع وقت حاضر قليل.

* أو هذا القرآن العظيم الذى بينا لكم فيه البيان التام بلاغ لكم و زاد إلى الدار الآخرة و نعم الزاد و البلغة زاد

يوصل إلى دار النعيم و يعصم من العذاب الأليم فهو أفضل زاد يتزوده الخلائق و أجل نعمة أنعم الله بها عليهم.

(فَهَلْ يُهْلَكُ) بالعقوبات

(إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ) الذين لا خير فيهم و قد خرجوا عن طاعة ربهم و لم يقبلوا الحق الذى جاءتهم به الرسل.
لَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ وَ هَذَا مِنْ عَذْلِهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ.
و أعذر الله لهم و أنذرهم فبعد ذلك إذ يستمرون على تكذيبهم و كفرهم نسأل الله العصمة **35**

47- سورة محمد-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَقٌّ إِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَمَا مَتَا بَعْدُ وَإِمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهُمْ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُنُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿٦﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْهُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَهُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾

* هذه الآيات مشتملات على ذكر ثواب المؤمنين و عقاب العاصين و السبب في ذلك و دعوة الخلق إلى

جزاء و أحوال الكفار و المؤمنين 3-1

الاعتبار بذلك فقال: (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)

و هؤلاء رؤساء الكفر و أئمة الضلال الذين جمعوا بين الكفر بالله و آياته و الصد لأنفسهم و غيرهم عن سبيل الله التي هي الإيمان بما دعت إليه الرسل و اتباعه.

فهؤلاء (أَضَلَّ) أبطل و أشقى الله (أَعْمَلَهُمْ)

أى: بسببها و هذا يشمل أعمالهم التي عملوها ليكيدوا بها الحق و أولياء الله أن الله جعل كيدهم في نحورهم فلم يدركوا مما قصدوا شيئا و أعمالهم التي يرجون أن يثابوا عليها أن الله سيحبطها عليهم

* و السبب في ذلك أنهم اتبعوا الباطل:-

و هو كل غاية لا يراد بها وجه الله من عبادة الأصنام و الأوثان و الأعمال التي في نصر الباطل لما كانت باطلة كانت الأعمال لأجلها باطلة.

* كقوله (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) [الفرقان: 23] 1

و أما (وَالَّذِينَ) بما أنزل الله على رسله عموما و على محمد ﷺ خصوصا

(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) بأن قاموا بما عليهم من حقوق الله و حقوق العباد الواجبة و المستحبة.

(وَأَمِنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ)

عطف خاص على عام و هو دليل على أنه شرط في صحة الإيمان بعد بعثته
(كَفَرُوا) الله

(عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ) صغارها و كبارها. و إذا كفرت سيئاتهم نجوا من عذاب الدنيا و الآخرة.

(وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ)

أصلح دينهم و دنياهم و قلوبهم و أعمالهم و أصلح ثوابهم بتنميته و تركيته و أصلح جميع أحوالهم 2
* و السبب في ذلك أنهم:-

(ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ)

الذى هو الصدق و اليقين و ما اشتمل عليه هذا القرآن العظيم

الصادر (من رَبِّهِمْ) الذى رباهم بنعمته و دبرهم بلطفه فرباهم تعالى بالحق فاتبعوه فصلحت أمورهم

* فلما كانت الغاية المقصودة لهم متعلقة بالحق المنسوب إلى الله الباقي الحق المبين كانت الوسيلة صالحة باقية
باقيا ثوابها.

(كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) حيث بين لهم تعالى أهل الخير و أهل الشر

و ذكر لكل منهم صفة يعرفون بها و يتميزون (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ) [الأنفال: 42] 3
* يقول تعالى -مرشدا عباده إلى ما فيه صلاحهم و نصرهم على أعدائهم:-

(فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا) في الحرب و القتال

(فَضْرِبُوا الرِّقَابَ) فاصدقوهم القتال و اضربوا منهم الأعناق

(حَقَّ إِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمْ)

حَتَّى تَتَخَنَوْهُمْ و تكسروا شوكتهم و تبطلوا شرتهم فإذا فعلتم ذلك و رأيتم الأسر أولى و أصلح

(فَشُدُّوا الرِّبَاطَ) أى: الرباط

و هذا احتياط لأسرهم لئلا يهربوا فإذا شد منهم الوثاق اطمأن المسلمون من هربهم و من شرهم

(فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً)

فإذا كانوا تحت أسركم فأنتم بالخيار بين المن عليهم و إطلاقهم بلا مال ولا فداء

و إما أن تفدوهم بأن لا تطلقوهم حتى يشتروا أنفسهم

أو يشتريهم أصحابهم بمال

الأمر بجهاد الكفار و ثوابه 4-6

أو بأسير مسلم عندهم و هذا الأمر مستمر

(حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) حتى لا يبقى حرب و تبقون فى المسألة و المهادنة

فإن لكل مقام مقالا ولكل حال حكما فالحال المتقدمة إنما هي إذا كان قتال و حرب.

كقوله (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) [البقرة: 193]

فإذا كان فى بعض الأوقات لا حرب فيه لسبب من الأسباب فلا قتل ولا أسر.

(ذَلِكَ) الحكم المذكور فى ابتلاء المؤمنين بالكافرين و مداولة الأيام بينهم و انتصار بعضهم على بعض

(وَلَوْ بِشَاءِ اللَّهِ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ)

فالله على كل شىء قدير و قادر على أن لا ينتصر الكفار فى موضع واحد أبدا حتى يبيد المسلمون خضراءهم.

(وَلَكِنْ لِنَبْلُوا بِهِمُكَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ) لـ:-

1- يقوم سوق الجهاد

2- و يتبين بذلك أحوال العباد الصادق من الكاذب

3- و ليؤمن من آمن إيمانا صحيحا عن بصيرة لا إيمانا مبنيا على متابعة أهل الغلبة

فإنه إيمان ضعيف جدا لا يكاد يستمر لصاحبه عند المحن و البلى.

(وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)

لهم ثواب جزيل و أجر جميل وهم الذين قاتلوا من أمروا بقتالهم لتكون كلمة الله هي العليا.

*الترمذى 1663 عَنْ الْمُقْدَامِ بْنِ مَعْدَى كَرَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خَصَالٍ:

1- يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ 2- وَ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ 3- وَ يُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ 4- وَ يَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ

5- وَ يُوَضَّعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا

6- وَ يُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَ سَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَ يُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ

*مسلم 1886 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ»

(فَلَنْ يُضِلَّ) يحبط و يبطل (أَعْمَلَهُمْ)

بل يتقبلها وينميها لهم و يظهر من أعمالهم نتائجها فى الدنيا و الآخرة 4

(سَيَهْدِيهِمْ) إلى سلوك الطريق الموصلة إلى الجنة

*كقوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) [يونس: 9]

(وَيُصْلِحُ بِأَلَمِهِمْ) أى: حالهم و أمورهم و ثوابهم يكون صالحا كاملا لا نكد فيه و لا تنغيص بوجه من الوجوه 5

(وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا) أولا بأن شوقهم إليها و نعتها (لَهُمْ)

و ذكر لهم الأعمال الموصلة إليها التي من جملتها: -القتل في سبيله و وفقهم للقيام بما أمرهم به و رغبهم فيه ثم إذا دخلوا الجنة عرفهم منازلهم و ما احتوت عليه من: - النعيم المقيم والعيش السليم.

*البخارى -2440 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حَبَسُوا (أُوقِفُوا) بِقَنْطَرَةٍ (كل شيء ينصب على طرفي واد أو جانبي نهر ونحوه) بَيْنَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ فَيَتَقَاصُونَ (من القصاص والمعنى يتراضون فيما بينهم ويتسامحون عما كان لبعضهم من تبعات على بعض) مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا

حَتَّى إِذَا نَقُّوا وَ هُذِّبُوا (خلصوا من جميع الآثام ولم يبق على أحدهم أية تبعة من التنقية وهي تمييز الجيد من الرديء والتهذيب وهو التخليص) أَذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَ الَّذِي نَفْسٌ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحْدَهُمْ مِمَّسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ (أكثر دلالة وأعرف) مِمَّنْزِلِهِ كَانَ

فِي الدُّنْيَا 6

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمُ الْوَنَاقَ)

قوله: (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ) [الحج: 40]

هذا أمر منه تعالى للمؤمنين أن ينصروا الله بالقيام بدينه و الدعوة إليه و جهاد أعدائه و القصد بذلك وجه الله فإنهم إذا فعلوا ذلك نصرهم الله

(وَيُنِيتُ أَقْدَامَكُمْ) يربط على قلوبهم بالصبر و الطمأنينة و الثبات و يصبر أجسامهم على ذلك

و يعينهم على أعدائهم فهذا وعد من كريم صادق الوعد أن الذي ينصره بالأقوال و الأفعال سينصره مولاه

شروط النصر للمؤمنين و خذلان الكفار و جزاؤهما 7-14

و ييسر له أسباب النصر من الثبات و غيره 7

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا) بربهم و نصروا الباطل (فَتَعَسَا) انتكاس من أمرهم و خذلان (لَهُمْ)

(وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) أبطل أعمالهم التي يكيدون بها الحق فرجع كيدهم في نحورهم و بطلت أعمالهم التي يزعمون

أنهم يريدون بها وجه الله 8

ذلك الإضلال و التعس للذين كفروا بسبب (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ)

من القرآن الذي أنزله الله صلاحا للعباد و فلاحا لهم فلم يقبلوه بل أبغضوه و كرهوه

(فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) 9

(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) أى: أفلا يسير هؤلاء المكذبون بالرسول ﷺ

(فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) فإنهم لا يجدون عاقبتهم إلا شر العواقب

فإنهم لا يلتفتون يمينة و لا يسرة إلا وجدوا ما حولهم قد بادوا و هلكوا و استأصلهم التكذيب و الكفر فحمدوا

(دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) أموالهم و ديارهم بل دمر أعمالهم و مكرهم

(وَاللَّكَافِرِينَ أَهْمَالُهَا) و للكافرين في كل زمان و مكان أمثال هذه العواقب الوخيمة و العقوبات الذميمة.

* و أما المؤمنون فإن الله تعالى ينجيهم من العذاب و يجزل لهم كثير الثواب **10**

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا) فتولاهم برحمته فأخرجهم من الظلمات إلى النور و تولى جزاءهم و نصرهم

* البخارى 4043 عَنْ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ وَ أَجْلَسَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا مِنَ الرِّمَاءِ وَ أَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ وَ قَالَ: «لَا تَبْرَحُوا إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا وَ إِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا» فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الْجَبَلِ رَفَعْنَ عَن سَوْقِهِنَّ قَدْ بَدَتْ خَلَائِلُهُنَّ فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الْغَنِيمَةُ الْغَنِيمَةُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: عَهْدٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ لَا تَبْرَحُوا فَأَبَوْا فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ فَأَصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا وَ أَشْرَفَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ: «لَا تُجِيبُوهُ» فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ قَالَ: «لَا تُجِيبُوهُ» فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ قُتِلُوا فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءَ لَأَجَابُوا فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ مَا يُخْزِيكَ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: اغْلُ هُبْلُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجِيبُوهُ» قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: " قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَ أَجَلٌ " قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَنَا الْعِزَّةُ وَ لَا عِزَّةَ لَكُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجِيبُوهُ» قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُ مَوْلَانَا وَ لَا مَوْلَى لَكُمْ» قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَوْمَ يَوْمٍ بَدْرٍ وَ الْحَرْبُ سَجَالٌ وَ تَجِدُونَ مِثْلَهُ لَمْ أَمْرٌ بِهَا وَ لَمْ تَسْؤُنِي

(وَأَنَّ الْكَافِرِينَ) بالله تعالى حيث قطعوا عنهم ولاية الله و سدوا على أنفسهم رحمته

(لَا مَوْلَى لَهُمْ) يهديهم إلى سبل السلام و لا ينجيهم من عذاب الله و عقابه

* بل أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون **11**

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ
الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتِيمٍ مِنْ زَيْدٍ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ
وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ
كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ
قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾
وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانِسَهُمْ نَفَقَاتُهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا
فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

(إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)

لما ذكر تعالى أنه ولى المؤمنين ذكر ما يفعل بهم في الآخرة من دخول الجنات التى تجرى من تحتها الأنهار
التي تسقى تلك البساتين الزاهرة و الأشجار الناطرة المثمرة لكل زوج بهيج و كل فاكهة لذيدة.

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ)

و لما ذكر أن الكافرين لا مولى لهم ذكر أنهم وُكِّلُوا إلى أنفسهم فلم يتصفوا بصفات المروءة ولا الصفات
الإنسانية

بل نزلوا عنها دركات و صاروا كالأنعام التي لا عقل لها و لا فضل

بل جل همهم و مقصدهم التمتع بلذات الدنيا و شهواتها

فترى حركاتهم الظاهرة والباطنة دائرة حولها غير متعدية لها إلى ما فيه الخير و السعادة

(وَالنَّارُ مَثْوًى) منزلا معدا لا يخرجون منها ولا يفتر عنهم من عذابها **(لَهُمْ)**

*البخارى 5393 - عَنْ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ لَا يَأْكُلُ حَتَّى يُؤْتِيَ بِمِسْكِينٍ يَأْكُلُ مَعَهُ فَأَدْخَلْتُ رَجُلًا يَأْكُلُ مَعَهُ
فَأَكَلَ كَثِيرًا فَقَالَ: يَا نَافِعُ لَا تُدْخِلْ هَذَا عَلَى سَمِيعَتِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ:

«الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ وَ الْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ (و الجمع أمعاء وهى المصارين)»

(هو كناية عن الشره والرغبة في متاع الدنيا وملذاتها والحرص على التشبع من شهواتها التي من جملتها تنوع المأكول والمشرب والامتلاء منها) 12

(وَكَايْنِ) وكم (مِنْ قَرِيْبَةٍ) من قرى المكذبين

(هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيْبِكَ) فى الأموال و الأولاد و الأعوان و الأبنية و الآلات.

(أَلَيْكَ أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكَهُمْ) حين كذبوا رسلنا و لم تفد فيهم المواعظ

(فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) فلا نجد لهم ناصرا و لم تغن عنهم قوتهم من عذاب الله شيئا.

فكيف حال هؤلاء الضعفاء أهل قريتك إذ أخرجوك عن وطنك و كذبوك و عادوك

و أنت أفضل المرسلين و خير الأولين و الآخرين؟!

أليسوا بأحق من غيرهم بالإهلاك والعقوبة لولا أن الله تعالى بعث رسوله بالرحمة والتأنى بكل كافر و جاحد؟ (١٣)

(أَمَنْ كَانَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ)

لا يستوى من هو على بصيرة من أمر دينه علما و عملا قد علم الحق و اتبعه و رجا ما وعده الله لأهل الحق

(كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) كمن هو أعمى القلب قد رفض الحق و أضله

(وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) و اتبع هواه بغير هدى من الله و مع ذلك يرى أن ما هو عليه من الحق

فما أبعد الفرق بين الفريقين! و ما أعظم التفاوت بين الطائفتين أهل الحق و أهل الغي! (١٤)

(مَثَلُ الْجَنَّةِ) نعتها وصفتها الجميلة (الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ) الذين اتقوا سخطه و اتبعوا رضوانه

(فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) متغير لا بوخم و لا بريح منتنة و لا بمرارة و لا بكدورة

بل هو أعذب المياه و أصفهاها و أطيبها ريحا و ألذها شربا.

(وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ) بحموضة و لا غيرها

ما أعد الله للمؤمن و للكافر 15-18

(وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) أي: يلتذ به شاربه لذة عظيمة لا كخمر الدنيا الذى:-

1- يكره مذاقه

2- و يصدع الرأس

3- و يغول العقل.

(وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى) من شمعته و سائر أوساخه.

(وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ)

من نخيل و عنب و تفاح و رمان و أترج و تين و غير ذلك مما لا نظير له فى الدنيا

فهذا المحبوب المطلوب قد حصل لهم. كقوله (يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ) [الدخان: 55]

ثم قال: (وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) يزول بها عنهم المرهوب

فأي هؤلاء خير أم من هو خالد في النار التي اشتد حرها و تضاعف عذابها

(كَنَّ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ) ليس من هو في الدرجات كمن هو في الدرجات

(وَسُقُوا) فيها

(مَاءٌ حَمِيمًا) حارا جدا لا يستطيع

(فَقَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ)

ما في بطونهم من الامعاء و الاحشاء فسبحان من فاوت بين الدارين و الجزاءين و العاملين و العاملين **15**

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) ما تقول استماعا لا عن قبول و انقياد بل معرضة قلوبهم عنه

و لهذا قال: **(حَقَّقْ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ)**

مستفهمين عما قلت و ما سمعوا مما لم يكن لهم فيه رغبة

(مَاذَا قَالَ مِائِقًا) قريبا و هذا في غاية الذم لهم

فإنهم لو كانوا حريصين على الخير لألقوا إليه أسمعهم و وعته قلوبهم و انقادت له جوارحهم و لكنهم بعكس هذه الحال

* و لهذا قال: **(أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ)** ختم **(اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ)** و سد أبواب الخير التي تصل إليها

(وَاتَّبَعُوا) بسبب اتباعهم **(أَهْوَاءَهُمْ)** التي لا يهون فيها إلا الباطل **16**

* ثم بين حال المهتدين فقال: **(وَالَّذِينَ آمَنُوا)** بالإيمان و الانقياد و اتباع ما يرضى الله

(زَادَهُمْ هُدًى) شكرا منه تعالى لهم على ذلك

* الذين قصدوا الهداية وفقهم الله تعالى لها فهداهم إليها و ثبتهم عليها و زادهم منها

(وَمَّا أَنَّهُمْ يَقُولُهُمْ) وفقهم للخير و حفظهم من الشر-الهمهم رشدهم

* فذكر للمهتدين جزاءين: العلم النافع و العمل الصالح **17**

(فَهَلْ يَنْظُرُونَ) فهل ينظر هؤلاء المكذبون أو ينتظرون

(إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) فجأة وهم لا يشعرون

(فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) علاماتها الدالة على قربها.

* البخارى (4936) حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ:-

رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ بِأُصْبَعِيهِ **(أشار)** هَكَذَا بِالْوُسْطَى وَ الَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ :-

بُعِثْتُ وَ السَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ **(أى مقترنين كافتراهما أو الفارق بين بعثتى وقيام الساعة كالفرق بين الأصبعين في الطول والمراد بيان وقت قيام الساعة)**

(فَأَنذَرْتُ) فمن أين (لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ) التذكير إذا جاءتهم الساعة؟

أى: من أين لهم إذا جاءتهم الساعة و انقطعت آجالهم أن يتذكروا و يستعتبوا؟

قد فات ذلك و ذهب وقت التذكر فقد عمروا ما يتذكر فيه من تذكير و جاءهم النذير.

*كقوله (يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى) [الفجر: 23] (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) [سبأ: 52]

ففي هذا الحث على الاستعداد قبل مفاجأة الموت فإن موت الإنسان قيام ساعته.

*البخارى (6398) عَنْ ابْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ:

رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَ جَهْلِي وَ إِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ وَ مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَ عَمْدِي وَ جَهْلِي وَ هَزْلِي وَ كُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَ مَا أَخَّرْتُ وَ مَا أَسْرَرْتُ وَ مَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»

*مسلم (2346) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجَسَ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَ أَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَ لَحْمًا أَوْ قَالَ ثَرِيدًا

قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفِرُكَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ وَلَكَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) [محمد: 19] قَالَ: ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ «فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النَّبُوءَةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. عِنْدَ نَاحِيَةِ الْيُسْرَى

(قال الجمهور الناحض أعلى الكتف وقيل هو العظم الرقيق الذي على طرفه وقيل ما يظهر منه عند التحرك سمي ناغضا لتحركه)

جُمُعًا) (معناه أنه كجمع الكف وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها) عَلَيْهِ خِيَلَانٌ (جمع خال وهو الشامة في الجسد) كَأَمْثَالِ الثَّالِيلِ

(جمع ثؤلول وهى حبيبات تعلق الجسد)

*البخارى (6307) قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَ أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» 18

(فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

*العلم لا بد فيه من إقرار القلب و معرفته بمعنى ما طلب منه علمه و تمامه أن يعمل بمقتضاه.

و هذا العلم الذي أمر الله به -و هو العلم بتوحيد الله- فرض عين على كل إنسان لا يسقط عن أحد كائنا من

كان بل كل مضطر إلى ذلك. و الطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو أمور:-

أحدها:- بل أعظمها: تدبر أسمائه و صفاته و أفعاله الدالة على كماله و عظمته و جلالته

فإنها توجب بذل الجهد فى التأله له و التبعد للرب الكامل الذي له كل حمد و مجد و جلال و جمال.

الثانى: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق و التدبير فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة و الباطنة الدينية و الدنيوية

فإن ذلك يوجب تعلق القلب به و محبته و التأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه و نسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر و النعم العاجلة

و من عقوبته لأعدائه المشركين به فإن هذا داع إلى العلم بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

الأمر بالعلم و الاستغفار

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان و الأنداد التي عبدت مع الله و اتخذت آلهة و أنها ناقصة من جميع الوجوه

فقيرة بالذات لا تملك لنفسها و لا لعابديها نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا و لا ينصرون من عبدهم و لا ينفعونهم بمشقال ذرة من جلب خير أو دفع شر
فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو و بطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك و تواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق الذين هم أكمل الخليقة أخلاقا و عقولا و رأيا و صوابا و علما -

و هم الرسل و الأنبياء و العلماء الربانيون- قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية و النفسية التي تدل على التوحيد أعظم دلالة و تنادى عليه بلسان حالها

بما أودعها من لطائف صنعته و بديع حكمته و غرائب خلقه.

فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله و أبداه في كتابه و أعادها عند تأمل العبد في بعضها لا بد أن يكون عنده يقين و علم بذلك

* فكيف إذا اجتمعت و تواطأت و اتفقت و قامت أدلة التوحيد من كل جانب

* فهناك يرسخ الإيمان و العلم بذلك في قلب العبد بحيث يكون كالجبال الرواسي لا تزلزله الشبه و الخيالات و لا يزداد -على تكرر الباطل و الشبه- إلا نموا و كمالا.

* هذا و إن نظرت إلى الدليل العظيم و الأمر الكبير -و هو تدبر هذا القرآن العظيم و التأمل في آياته- فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد و يحصل به من تفاصيله و جملة ما لا يحصل في غيره.

(وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ) اطلب من الله المغفرة لذنبك بأن تفعل أسباب المغفرة من التوبة و الدعاء بالمغفرة و الحسنات الماحية و ترك الذنوب و العفو عن الجرائم.

(و) استغفر أيضا (وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) فإنهم -بسبب إيمانهم- كان لهم حق على كل مسلم و مسلمة.

و من جملة حقوقهم أن يدعو لهم ويستغفر لذنوبهم

* و إذا كان مأمورا بالاستغفار لهم المتضمن لإزالة الذنوب و عقوباتها عنهم **فإن من لوازم ذلك :-**

* النصح لهم و أن يحب لهم من الخير ما يحب لنفسه و يكره لهم من الشر ما يكره لنفسه


و يأمرهم بما فيه الخير لهم و ينهاهم عما فيه ضررهم و يعفو عن مساويهم و معاصيهم

و يحرص على اجتماعهم اجتماعا تتألف به قلوبهم و يزول ما بينهم من الأحقاد المفضية للمعاداة و الشقاق الذي به تكثر ذنوبهم و معاصيهم.

(وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ) تصرفاتكم و حركاتكم و ذهابكم و مجيئكم

(وَمَثُوبَكُمْ) الذي به تستقرون فهو يعلمكم في الحركات و السكنات فيجازيكم على ذلك أتم الجزاء و أوفاه.

كقوله (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ) [الأنعام: 60]

(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [هود: 6] 

.....

وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ
رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ
طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ
إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ
﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ
الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ
سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ
﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمُ
فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَنَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾

* يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ تَمَنَّوْا شَرْعِيَّةَ الْجِهَادِ فَلَمَّا فَرَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ أَمَرَ بِهِ نَكَلَ عَنْهُ كَثِيرٌ
مِنَ النَّاسِ كَقَوْلِهِ (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ
يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ
وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا [النساء: 77])

يقول تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا) استعجالا و مبادرة للأوامر الشاقة:-

أحوال المنافقين و عاقبتهم و ابتلاء المجاهدين 20-34

(لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ) أى: فيها الأمر بالقتال.

(فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ) ملزم العمل بها

(وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ) الذى هو أشق شىء على النفوس لم يثبت ضعفاء الإيمان على امتثال هذه الأوامر

و لهذا قال:- (رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ) من سكرات الموت
من كراحتهم لذلك و شدته عليهم.

و هذا كقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ
مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً [النساء: 77])

* ثم ندبهم تعالى إلى ما هو الأليق بحالهم فقال:-

(فَأُولَئِكَ لَهُمْ) فأجدر بهم ﴿٢٠﴾

(طَاعَةٌ) لرسول الله

(وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ) حسن له

فأولى لهم أن يمتثلوا الأمر الحاضر المحتم عليهم و يجمعوا عليه هممهم و لا يطلبوا أن يشرع لهم ما هو شاق عليهم و ليفرحوا بعافية الله تعالى و عفوه

(فَإِذَا عَزَمَ) جد (الْأَمْرُ) و أصبح محتما

ففى هذه الحال (فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ) بالاستعانة به و بذل الجهد فى امتثاله

(لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ) من حالهم الأولى و ذلك من وجـوه:

1- أن العبد ناقص من كل وجه لا قدرة له إلا إن أعانه الله فلا يطلب زيادة على ما هو قائم بصدده.

2- أنه إذا تعلق نفسه بالمستقبل ضعف عن العمل بوظيفة وقته و بوظيفة المستقبل

أما الحال فلأن الهمة انتقلت عنه إلى غيره و العمل تبع للهمة

و أما المستقبل فإنه لا يجيء حتى تفتت الهمة عن نشاطها فلا يعان عليه.

3- أن العبد المؤمل للآمال المستقبلية مع كسله عن عمل الوقت الحاضر شبيه بالمتألى الذى يجزم بقدرته على

ما يستقبل من أموره فأحرى به أن يخذل و لا يقوم بما هم به و وطن نفسه عليه

* فالذى ينبغى أن يجمع العبد همه و فكرته و نشاطه على وقته الحاضر و يؤدي وظيفته بحسب قدرته

* ثم كلما جاء وقت استقباله بنشاط و همة عالية مجتمعة غير متفرقة مستعينا بربه فى ذلك

فهذا حري بالتوفيق و التسديد فى جميع أموره 21

* ثم ذكر تعالى حال المتولى عن طاعة ربه و أنه لا يتولى إلى خير بل إلى شر فقال:-

(فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ)

أي: فهما أمران إما التزام لطاعة الله و امتثال لأوامره فثم الخير و الرشد و الفلاح

و إما إعراض عن ذلك و تولي عن طاعة الله فما ثم إلا الفساد فى الأرض بالعمل بالمعاصى و قطيعة الأرحام.

* أى: تَعُودُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ الْجَهْلَاءِ تَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ وَتَقَطُّعُونَ الْأَرْحَامَ وَ لِهَذَا قَالَ:-

(أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ)

وَ هَذَا نَهَى عَنِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ عُمُومًا وَ عَنِ قَطْعِ الْأَرْحَامِ خُصُوصًا بَلْ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِصْلَاحِ فِي

الْأَرْضِ وَ صَلَهِ الْأَرْحَامِ وَ هُوَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْأَقَارِبِ فِي الْمَقَالِ وَ الْأَفْعَالِ وَ بَذْلِ الْأَمْوَالِ.

وَ قَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحَاحُ وَالْحِسَانُ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ طُرُقٍ عَدِيدَةٍ وَ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ.

* الْبُخَارِيُّ (4830) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-

خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ

فَقَالَ: مَهْ! فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ.

فَقَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى. قَالَ: فَذَاكَ
قال أبو هريرة:- اقرؤوا إِنَّ شِئْتُمْ (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ
* 20734 حم:- عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

مَا مِنْ ذَنْبٍ أَخْرَى أَنْ يُعَجَّلَ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةُ مَعَ مَا يُؤَخَّرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ بَغْيٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ "
قَالَ وَكِيعٌ:- " أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ " وَ قَالَ يَزِيدٌ:- " يُعَجَّلُ اللَّهُ " وَ قَالَ:- " مَعَ مَا يُدَّخَرُ لَهُ 22

(أُولَئِكَ الَّذِينَ) أفسدوا في الأرض و قطعوا أرحامهم

(لَعَنَهُمُ اللَّهُ) بأن أبعدهم عن رحمته و قربوا من سخط الله.

(فَأَصْمَهُمْ) أى: جعلهم لا يسمعون ما ينفعهم و لا يبصرونه فلهم آذان

و لكن لا تسمع سماع إدعان و قبول و إنما تسمع سماعا تقوم به حجة الله عليها

(وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ) و لهم أعين و لكن لا يبصرون بها العبر و الآيات و لا يلتفتون بها إلى البراهين و البينات 23

(أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ) فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله و يتأملونه حق التأمل

فإنهم لو تدبروه لدلهم على كل خير و لحذرهم من كل شر و لمأأ قلوبهم من الإيمان و أفندتهم من الإيقان

و لأوصلهم إلى المطالب العالية و المواهب الغالية و لبين لهم الطريق الموصلة إلى الله

و إلى جنته و مكملاتها و مفسداتها و الطريق الموصلة إلى العذاب

و بأى شىء تحذر و لعرفهم بربهم و أسمائه و صفاته و إحسانه و لشوقهم إلى الثواب الجزيل و رهيبهم من

العقاب الويل.

(أَمَرَ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهِمْ) قد أغلق على ما فيها من الشر و أقفلت فلا يدخلها خير أبدا؟ هذا هو الواقع 24

* يخبر تعالى عن حالة المرتدين عن الهدى و الإيمان فقال (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ) أعقابهم

إلى الضلال و الكفران (مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى) و ذلك لا عن دليل دلهم و لا برهان

(الشَّيْطَانُ سَوَّلَ) زَيَّنَ (لَهُمْ) خطاياهم

(وَأَمَّا لَهُمْ) و مدَّ لهم في الأمل. و إملاء منه لهم: (يَعِدُّهُمْ وَيُمَيِّتُهُمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا) [النساء: 120] 25

و (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ) قد تبين لهم الهدى فزهدوا فيه و رفضوه

و (قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ) من المبارزين العداوة لله و لرسوله

(سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ) الذى يوافق أهواءهم

* فلذلك عاقبهم الله بالضلال و الإقامة على ما يوصلهم إلى الشقاء الأبدى و العذاب السرمدى.

(وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ)

فلذلك فضحهم و بينها لعباده المؤمنين لئلا يغتروا بها كقوله (وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ) [النساء: 81] **26**

(فَكَيْفَ) ترى حالهم الشنيعة و رؤيتهم الفظيعة

(إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ) الموكلون بقبض أرواحهم

(يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ) بللمقامع الشديدة!؟

*لقوله (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) [الأنفال: 50]

(وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) [الأنعام: 93]

(ذَلِكَ) العذاب الذى استحقوه و نالوه

(ب) سبب (بَأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ) من كل كفر و فسوق و عصيان.

(وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ) فلم يكن لهم رغبة فيما يقربهم إليه و لا يدينهم منه

(فَأَحْبَطَ) أبطل و أذهب (أَعْمَلَهُمْ)

* و هذا بخلاف من اتبع ما يرضى الله و كره سخطه فإنه سيكفر عنه سيئاته و يضاعف أجره و ثوابه **28**

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) من شبهة أو شهوة بحيث تخرج القلب عن حال صحته و اعتداله

(أَن لَّن يَخْرِجَ اللَّهُ) أن الله لا يخرج ما فى قلوبهم من (أَضْغَنْتَهُمْ) و عداوتهم للإسلام و أهله؟

جَمْعُ ضَغْنٍ :- هو مَا فِي النُّفُوسِ مِنَ الْحَسَدِ وَ الْحَقْدِ لِلْإِسْلَامِ وَ أَهْلِهِ وَ الْقَائِمِينَ بِنَصْرِهِ

* هذا ظن لا يليق بحكمة الله فإنه لا بد أن يميز الصادق من الكاذب و ذلك بالابتلاء بالمحن :-

-التي من ثبت عليها و دام إيمانه فيها فهو المؤمن حقيقة

-و من رده على عقبه فلم يصبر عليها و حين أتاه الامتحان جزع و ضعف إيمانه و خرج ما فى قلبه من

الضغن و تبين نفاقه هذا مقتضى الحكمة الإلهية

* بَلْ سَيُوضَّحُ أَمْرُهُمْ وَ يُجَلِّيهِ حَتَّى يَفْهَمَهُمْ ذُووُ الْبَصَائِرِ وَ قَدْ أَنْزَلَ تَعَالَى فِي ذَلِكَ سُورَةَ "بَرَاءة"

فَبَيَّنَ فِيهَا فَضَائِحَهُمْ وَ مَا يَعْتَمِدُونَهُ مِنَ الْأَفْعَالِ الدَّالَّةِ عَلَى نِفَاقِهِمْ وَ لِهَذَا إِنَّمَا كَانَتْ تُسَمَّى الْفَاضِحَةَ ﴿٢٩﴾

.....

وَلَنْبَلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ أَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾

فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾

إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ دِينٌ تَزِينُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَأْذِنُكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾

إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفَفْكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْعَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰأَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ

لِنُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ ۗ

وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

(وَلَوْ نَشَاءُ لَأَمَرْنَاكُمُ فَلَتَعْرِفَنَّهُمْ بِسِيمَتِهِمْ) بعلاماتهم التي هي كالوسم في وجوههم.

(وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) لا بد أن يظهر ما في قلوبهم و يتبين بقلوبهم

فإن الألسن مغارف القلوب يظهر منها ما في القلوب من الخير و الشر

(وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) فيجازيكم عليها 30

*ثم ذكر أعظم امتحان يمتحن به عباده و هو الجهاد في سبيل الله فقال:-

(وَلَنْبَلُونَكُمْ) نختبر إيمانكم و صبركم

(حَتَّى نَعْلَمَ) يظهر ما علمه سبحانه في الأزل لنميز (الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ) على قتال أعداء الله

*فمن امتثل أمر الله و جاهد في سبيل الله لنصر دينه و إعلاء كلمته فهو المؤمن حقا و من تكاسل عن ذلك كان ذلك نقصا في إيمانه.

(وَنَبْلُوا) نختبر (أَخْبَارَكُمْ) أفعالكم و أفعالكم فيظهر الصادق منكم من الكاذب 31

﴿وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ محمد: ٣١

عن إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت فضيلاً يقول ذات ليلة وهو يقرأ سورة محمد، وهو يبكي ويردد هذه الآية:

﴿وَلَنْبَلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ (١) وجعل يقول: ﴿وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾،

ويردد: وتبلوا أخبارنا، إن بَلَوْتُ أخبارنا فضحتنا، وهتكت أستاذنا! إنك إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا وببكي التواين لابن قدامة

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)

هذا وعيد شديد لمن جمع أنواع الشر كلها من الكفر بالله و صد الخلق عن سبيل الله الذى نصبه موصلا إليه.

(وَسَاقُوا) عاندوا و خالفوا (الرَّسُولَ) عن عمد و عناد لا عن جهل و غي و ضلال (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى)

فإنهم (لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا) فلا ينقص به ملكه.

(وَسَيَحْطُ أَعْمَالُهُمْ) مساعيهم التى بذلوها فى نصر الباطل بأن لا تثمر لهم إلا الخيبة و الخسران

و أعمالهم التى يرجون بها الثواب لا تقبل لعدم وجود شرطها 32

(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)

يأمر تعالى المؤمنين بأمر به تتم أمورهم و تحصل سعادتهم الدينية و الدنيوية
و هو: طاعته و طاعة رسوله فى أصول الدين و فروعه و الطاعة هى امتثال الأمر و اجتناب النهى على الوجه
المأمور به بالإخلاص و تمام المتابعة.

(وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) يشمل النهى عن :-

1-إبطالها بعد عملها بما يفسدها من من بها و إعجاب و فخر و سمعة و من عمل بالمعاصي التى تضحل
معها الأعمال و يحبط أجرها

2-و يشمل النهى عن إفسادها حال وقوعها بقطعها أو الإتيان بمفسد من مفسداتها.

فمبطلات الصلاة والصيام و الحج و نحوها كلها داخلة فى هذا و منهى عنها

و يستدل الفقهاء بهذه الآية على :-

1-تحريم قطع الفرض

2-و كراهة قطع النفل من غير موجب لذلك

*و إذا كان الله قد نهى عن إبطال الأعمال فهو أمر بإصلاحها و إكمالها و إتمامها و الإتيان بها على الوجه
الذى تصلح به علما وعملا.

*قال بن كثير: تبطلوا : أى بالردة لما فى الآية بعدها رقم 34

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ 34 فَلَا تَهْنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ
وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَمُ أَعْمَالَكُمْ)

هذه الآية و التى فى البقرة قوله: (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ) 217

*كقوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) النساء: 48]

فقال هنا: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر

(وَصَدُّوا) الخلق (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) بتزهيدهم إياهم بالحق و دعوتهم إلى الباطل و تزيينه

(ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ) لم يتوبوا منه

(فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) لا بشفاعه و لا بغيرها لأنه قد تحتم عليهم العقاب و فاتهم الثواب و وجب عليهم الخلود في النار و سدت عليهم رحمة الرحيم الغفار.

و مفهوم الآية الكريمة:-

أنهم إن تابوا من ذلك قبل موتهم فإن الله يغفر لهم و يرحمهم و يدخلهم الجنة و لو كانوا مفنين أعمارهم في الكفر به و الصد عن سبيله و الإقدام على معاصيه

*فسبحان من فتح لعباده أبواب الرحمة و لم يغلقها عن أحد ما دام حيا متمكنا من التوبة.

و سبحان الحليم الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة بل يعافيههم و يرزقهم كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم 34

ثم قال تعالى:-

حقيقة الدنيا و الأمر بالانفاق و الجهاد 35-38

(فَلَا تَهِنُوا) لا تضعفوا عن قتال عدوكم و يستولى عليكم الخوف بل اصبروا و اثبتوا

و وطنوا أنفسكم على القتال و الجلال طلبا لمرضاة ربكم و نصحا للإسلام و إغضابا للشيطان.

(وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ) و لا تدعوا إلى المسالمة و المتاركة بينكم و بين أعدائكم طلبا للراحة

(و) الحال أنكم

(وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُكُمْ) يحبط-يسلب (أَعْمَلَكُمْ) بل يوفيكم ثوابها و لا ينقصكم منها شيئا

*فهذه الأمور الثلاثة كل منها مقتض للصبر و عدم الوهن كونهم الأعلى أي:-

قد توفرت لهم أسباب النصر و وعدوا من الله بالوعد الصادق

فإن الإنسان لا يهين إلا إذا كان

الأول: أذل من غيره- و أضعف عددا- و عددا- و قوة داخلية- و خارجية.

الثاني: أن الله معهم فإنهم مؤمنون و الله مع المؤمنين بالعون و النصر و التأييد و ذلك موجب لقوة قلوبهم

و إقدامهم على عدوهم.

الثالث: أن الله لا ينقصهم من أعمالهم شيئا بل سيوفيههم أجورهم و يزيدهم من فضله خصوصا عبادة الجهاد

فإن النفقة تضاعف فيه إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة

*قال بن كثير (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ أَيْ: فِي حَالِ عُلُوِّكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ

*قَامًا إِذَا كَانَ الْكُفَّارُ فِيهِمْ قُوَّةً وَ كَثْرَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَ رَأَى الْإِمَامُ فِي الْمُعَاهَدَةِ وَ الْمُهَادَنَةِ

مُصْلَحَةً:- فَلَهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ صَدَّه كُفَّارُ قُرَيْشٍ عَنْ مَكَّةَ وَدَعَوْهُ إِلَى الصُّلْحِ

وَوَضَعَ الْحَرْبَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَهُ عَشْرَ سِنِينَ فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ.

وقال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْثُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ²¹ التوبة

* فإذا عرف الإنسان أن الله تعالى لا يضيع عمله و جهاده أوجب له ذلك النشاط و بذل الجهد فيما يترتب عليه الأجر والثواب

كيفية إذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة:-

فإن ذلك يوجب النشاط التام فهذا من ترغيب الله لعباده و تنشيطهم و تقوية أنفسهم على ما فيه صلاحهم و فلاحهم³⁵

(إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) هذا تزهيد منه لعباده في الحياة الدنيا بإخبارهم عن حقيقة أمرها بأنها

(لَعِبٌ) في الأبدان (وَلَهُمْ) في القلوب

* فلا يزال العبد لاهيا في ماله و أولاده و زينته و لذاته من النساء و المآكل و المشارب و المساكن و المجالس و المناظر و الرياضات لاعبا في كل عمل لا فائدة فيه بل هو دائر بين البطالة و الغفلة و المعاصي حتى تستكمل دنياه و يحضره أجله

* فإذا هذه الأمور قد ولت و فارقت و لم يحصل العبد منها على طائل بل قد تبين له خسارانه و حرمانه و حضر

عذابه:- فهذا موجب للعاقل الزهد فيها و عدم الرغبة فيها و الاهتمام بشأنها و إنما الذي ينبغي أن يهتم به ما ذكره بقوله:

(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) بأن تؤمنوا بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و تقوموا بتقواه التي هي من لوازم

الإيمان و مقتضياته و هي العمل بمرضاته على الدوام مع ترك معاصيه فهذا الذي ينفع العبد

* و هو الذي ينبغي أن يتنافس فيه و تبذل الهمم و الأعمال في طلبه و هو مقصود الله من عباده رحمة بهم و لطفًا ليشيهم الثواب الجزيل

و لهذا قال: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ

لا يريد تعالى أن يكلفكم ما يشق عليكم و يعتكم من أخذ أموالكم و بقائكم بلا مال أو ينقصكم نقصا يضركم³⁶

و لهذا قال: (إِنْ يَسْأَلْكُمْ عَنْهَا فَيُخَفِّكُمْ تَبَخَّلُوا وَبَخَّلُوا) ما في قلوبكم من

(أَضْغَنْتُمْ) إذا طلب منكم ما تكرهون بذله. و الدليل على أن الله لو طلب منكم أموالكم³⁷

(فَيُخَفِّكُمْ) فيلج عليكم و يجهدكم و أحفاكم بسؤالها (تَبَخَّلُوا) أنكم تمتنعون منها أنكم

(هَآأَنُتُمْ هَآؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) على هذا الوجه الذى فيه مصلحتكم الدينية و الدنيوية.
 (فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخُلُ) أى: فكيف لو سألكم و طلب منكم أموالكم فى غير أمر ترونه مصلحة عاجلة؟
 *أليس من باب أولى و أخرى امتناعكم من ذلك.

ثم قال: (وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ) لأنه حرم نفسه ثواب الله تعالى و فاته خير كثير و لن يضر الله بترك الإنفاق شيئا.
 فإن الله هو (وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ) تحتاجون إليه فى جميع أوقاتكم لجميع أموركم.
 (وَلِإِنْ تَوَلَّوْا) عن الإيمان بالله و امتثال ما يأمركم به

(يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ) فى التولى بل يطيعون الله و رسوله و يحبون الله و رسوله
 كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) [المائدة: 54] 38

48-سورة الفتح-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيُخْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيُضَرِّكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ يَا اللَّهُ ظَرْبُ السَّوْغَاطِ لَهُمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

*الصحيح المسند من اسباب النزول-البخارى -4844 عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا وَائِلٍ أَسْأَلُهُ فَقَالَ:- كُنَّا بِصِفِّينَ فَقَالَ رَجُلٌ: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عَلَى: نَعَمْ فَقَالَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ: اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ - يَعْنِي الصُّلْحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُشْرِكِينَ - وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ وَ قِتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ:- فَفِيمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا وَ نَرْجِعُ وَ لَمَّا يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَنَا فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَ لَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا» فَارْجَعَ مُتَغَيِّظًا فَلَمْ يَصْبِرْ حَتَّى جَاءَ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ لَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا فَتَزَلَّتْ سُورَةُ الْفَتْحِ

صلح الحديبية 1-7

(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) ظاهر جلى

هذا الفتح المذكور هو صلح الحديبية حين صد المشركون رسول الله ﷺ لما جاء معتمرا في قصة طويلة صار آخر أمرها أن صالحهم رسول الله ﷺ على وضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين و على أن يعتمر من العام المقبل و على أن من أراد أن يدخل في عهد قريش و حلفهم دخل و من أحب أن يدخل في عهد رسول الله ﷺ و عقده فعل.

*و بسبب ذلك لما أمن الناس بعضهم بعضا اتسعت دائرة الدعوة لدين الله عز وجل و صار كل مؤمن بأى محل كان من تلك الأقطار يتمكن من ذلك و أمكن الحريص على الوقوف على حقيقة الإسلام فدخل الناس في تلك المدة في دين الله أفواجا 1

*فلذلك سماه الله فتحا و وصفه بأنه فتح مبين و ذلك لأن المقصود في فتح بلدان المشركين:-

إعزاز دين الله و انتصار المسلمين و هذا حصل بذلك الفتح

و رتب الله على هذا الفتح عدة أمور فقال:- (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)

و ذلك -و الله أعلم- بسبب ما حصل بسببه من الطاعات الكثيرة و الدخول في الدين بكثرة و بما تحمل ﷺ من تلك الشروط التي لا يصبر عليها إلا أولو العزم من المرسلين و هذا من أعظم مناقبه و كراماته ﷺ أن غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر.

(وَيُتِمِّعْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) بإعزاز دينك و نصرتك على أعدائك و اتساع كلمتك

(وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) تنال به السعادة الأبدية و الفلاح السرمدي.

*مسلم (794) عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ الْمُرَزِيُّ يَقُولُ:-

«قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ فِي مَسِيرٍ لَهُ سُورَةُ الْفَتْحِ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَرَجَعَ فِي قِرَاءَتِهِ

(ترديد الصوت في الحلق وقد حكى عبد الله بن مغفل ترجيعه ﷺ بعد الصوت في القراءة نحو آآ)

قَالَ مُعَاوِيَةُ:- «لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ يَجْتَمَعَ عَلَى النَّاسِ لَحَكَيْتُ لَكُمْ قِرَاءَتَهُ

*البخارى (4150) عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ ﷺ قَالَ:-

تَعْدُونَ أَنْتُمْ الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَّةَ وَ قَدْ كَانَ فَتَحَ مَكَّةَ فَتَحًا وَ نَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ

(سميت ببيعة الرضوان لقوله تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك) (الفتح 18) وعدوها هي الفتح العظيم لأنها كانت مقدمة لفتح مكة بل كانت سببا لانتشار الإسلام

و دخول القبائل فيه إذ آمنوا من قريش و تفرغ النبي ﷺ لدعوتهم كما كانت البيعة سببا لرضوان الله عز وجل) يَوْمَ الْحَدِيثِ

كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً وَ الْحَدِيثُ بئرٌ فَتَرَحَّنَّاهَا (أخذنا ماءها شيئا فشيئا) فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً

فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَانَا فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِهَا ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ مَضَمَضَ وَدَعَا ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا

فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ (تركناها مدة من الزمن قليلة) ثُمَّ إِنَّهَا أَصْدَرْتَنَا (أخرجت لنا وأرجعت ماء عوضا عن الذي نزع منها) مَا شِئْنَا

(القدر الذي نرغبه ونريده لشرب وغيره) نَحْنُ وَ رِكَابُنَا (هى الإبل التى يسار عليها ونحوها)» 2

(وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا) قويا لا يتضعض فيه الإسلام

بل يحصل الانتصار التام و قمع الكافرين و ذلهم و نقصهم مع توفر قوى المسلمين و نموهم و نمو أموالهم.

*مسلم (2588) عَنْ الْعَلَاءِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:-

«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَ مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»

(ما نقصت صدقة من مال) ذكروا فيه وجهين:-

أحدهما معناه أنه يبارك فيه و يدفع عنه المضرات فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية و هذا مدرك بالحس و العادة

و الثانى أنه و إن نقصت صورته كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه و زيادة إلى أضعاف كثيرة

(و ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا) فيه أيضا وجهان:-

أحدهما على ظاهره و من عرف بالعفو و الصفح ساد و عَظُمَ في القلوب و زاد عزه و إكرامه

و الثانى أن المراد أجره في الآخرة و عزه هناك

(و ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) فيه أيضا وجهان:-

أحدهما يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة و يرفعه الله عند الناس و يجلب مكانه

و الثاني أن المراد ثوابه في الآخرة و رفعه فيها بتواضعه في الدنيا
قال العلماء وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة و قد يكون المراد الوجهين معا في جميعها في
الدنيا والآخرة **3**

***ثم ذكر آثار هذا الفتح على المؤمنين فقال:- (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ)** السكون و الطمأنينة و الثبات

(فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ) عند نزول المحن المقلقة و الأمور الصعبة التي تشوش القلوب و تزعج الأبواب و تضعف
النفوس

***فمن** نعمة الله على عبده في هذه الحال أن يثبتته و يربط على قلبه و ينزل عليه السكينة ليتلقى هذه المشقات
بقلب ثابت و نفس مطمئنة

(لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ)

فيستعد بذلك لإقامة أمر الله في هذه الحال فيزداد بذلك إيمانه و يتم إيقانه
فالصحابة رضي الله عنهم لما جرى ما جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و المشركين من تلك الشروط التي ظاهرها أنها غضاضة عليهم
و حط من أقدارهم و تلك لا تكاد تصبر عليها النفوس
***فلما صبروا عليها و وطنوا أنفسهم لها ازدادوا بذلك إيمانا مع إيمانهم.**

و قوله: **(وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)**

جميعها في ملكه و تحت تدبيره و قهره فلا يظن المشركون أن الله لا ينصر دينه و نبيه

(وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)

فتقتضى حكمته المداولة بين الناس في الأيام و تأخير نصر المؤمنين إلى وقت آخر.
***قال ابن كثير:-** وَ لَوْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مَلَكَ وَاحِدًا لَأَبَادَ خَضِرَاءَهُمْ وَ لَكِنَّهُ تَعَالَى شَرَعَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْجِهَادَ
وَ الْقِتَالَ لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَ الْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ وَالْبَرَاهِينِ الدَّامِغَةِ وَ لِهَذَا قَالَ:-

(وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) 4

(لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا)

***فهذا أعظم ما يحصل للمؤمنين أن يحصل لهم المرغوب المطلوب بدخول الجنات**

(وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) و يزيل عنهم المحذور بتكفير السيئات.

(وَكَانَ ذَلِكَ) الجزء المذكور للمؤمنين

(عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا) فهذا ما يفعل بالمؤمنين في ذلك الفتح المبين **5**

(وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ)

و أما المنافقون و المنافقات و المشركون و المشركات فإن الله يعذبهم بذلك و يريهم ما يسوءهم حيث كان مقصودهم **خذلان المؤمنين**

(الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَ السَّوْءِ)

أنه لا ينصر دينه و لا يعلى كلمته و أن أهل الباطل ستكون لهم الدائرة على أهل الحق

(عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) فأدار الله عليهم ظنهم و كانت دائرة السوء عليهم فى الدنيا

(وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) بما اقترفوه من المحادة لله و لرسوله

(وَلَعَنَهُمُ) أبعدهم و أقصاهم عن رحمته

(وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) 6

(وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

كرر الإخبار بأن له ملك السماوات و الأرض و ما فيهما من الجنود ليعلم العباد أنه تعالى هو المعز المذل

و أنه سينصر جنوده المنسوبة إليه كما قال تعالى: **(وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)**

(وَوَكَانَ اللَّهُ غَازِيًا) قويا غالبا قاهرا لكل شىء

و مع عزته و قوته فهو **(حَكِيمًا)** فى خلقه و تدبيره يجرى على ما تقتضيه حكمته و إتقانه **7**

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ) أيها الرسول الكريم

(شَهِيدًا) لأمتك بما فعلوه من خير و شر و شاهدا على **المقالات و المسائل** حقها و باطلها

و شاهدا لله تعالى **بالوحدانية و الانفرد بالكمال** من كل وجه

(وَمُبَشِّرًا) من أطاعك و أطاع الله بالشواب الديني و الدينى و الأخرى

(وَنَذِيرًا) لمن عصى الله بالعقاب العاجل و الآجل

*** و من تمام البشارة و النذارة:-**

بيان الأعمال و الأخلاق التى يبشر بها و ينذر فهو المبين للخير و الشر و السعادة و الشقاوة و الحق من

الباطل **8**

و لهذا رتب على ذلك قوله:- **(لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)**

بسبب دعوة الرسول لكم و تعليمه لكم ما ينفعكم أرسلناه لتقوموا بالإيمان بالله و رسوله المستلزم ذلك

لطاعتها فى جميع الأمور.

(وَتُعَزَّرُوهُ) تنصروه

(وَتُوقَّرُوهُ) تعظموه و تجلوه و تقوموا بحقوقه كما كانت له المنة العظيمة براقبكم

(وَتُسَبِّحُوهُ) تسبحوا لله

(بُكْرَةً وَأَصِيلًا) أول النهار و آخره

فذكر الله في هذه الآية الحق المشترك بين الله و بين رسوله و هو: الإيمان بهما

و المختص بالرسول و هو التعزيز و التوقير

و المختص بالله و هو التسبيح له و التقديس بصلاة أو غيرها 9

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ^٤
وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْهُ جَزَاءٌ عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسَّيْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ
مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا لَنْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ
الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾
وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ
إِذَا أَنْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ^٥
قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

هذه المبايعة التي أشار الله إليها هي (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا)

بيعة الرضوان التي بايع الصحابة ؓ فيها رسول الله ﷺ على أن لا يفروا عنه فهي عقد خاص من لوازمه

أن لا يفروا و لو لم يبق منهم إلا القليل و لو كانوا في حال يجوز الفرار فيها

فأخبر تعالى: أن الذين بايعوك حقيقة الأمر أنهم (بُيَايَعُونَكَ اللَّهُ) و يعقدون العقد معه

حتى إنه من شدة تأكده أنه قال: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ^٤)

كأنهم بايعوا الله و صافحوه بتلك المبايعة و كل هذا لزيادة التأكيد و التقوية و حملهم على الوفاء بها

*أَيُّ: هُوَ حَاضِرٌ مَعَهُمْ يَسْمَعُ أَقْوَالَهُمْ وَ يَرَى مَكَانَهُمْ وَ يَعْلَمُ صُمَائِرَهُمْ وَ ظَوَاهِرَهُمْ

فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسوله كقوله:-

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعِندًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ

وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة: 111]

*مسلم (2780) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ ثَنِيَّةَ الْمُرَارِ (والمرار شجر مر وأصل الثنية الطريق بين الجبلين وهذه الثنية عند الحديبية قال الحازمي قال ابن إسحاق هي مهبط الحديبية)

فَإِنَّهُ يُحِطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَعَدَهَا حَيْلُنَا حَيْلُ بَنِي الْخَزَرَجِ ثُمَّ تَتَمَّ النَّاسُ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:- «وَكُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ (قال القاضي قيل هذا الرجل هو الجد بن قيس المنافق)

فَاتَيْنَاهُ فَقُلْنَا لَهُ: تَعَالَ يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:-

وَاللَّهِ لَأَنْ أَجِدَ صَالَتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ قَالَ وَكَانَ رَجُلٌ يَنْشُدُ صَالَةً لَهُ

*مسلم (2496) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه يَقُولُ: أَخْبَرْتَنِي أُمُّ مُبَشَّرَانْهَا سَمِعَتْ رضي الله عنه يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا»
قَالَتْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَنْتَهُرَهَا فَقَالَتْ حَفْصَةُ: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) [مريم: 71]
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ قَالَ اللَّهُ: (ثُمَّ نُنَبِّئُ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا) [مريم: 72]

و لهذا قال: (فَمَنْ نَكَثَ) فلم يف بما عاهد الله عليه

(فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) لأن وبال ذلك راجع إليه و عقوبته واصله له

(وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ) أتى به كاملا موفرا

(فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) لا يعلم عظمه و قدره إلا الذي آتاه إياه 10

يذم تعالى المتخلفين عن رسوله في الجهاد في سبيله من الأعراب الذين ضعف إيمانهم و كان في قلوبهم مرض و سوء ظن بالله تعالى—(سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ) معتردين بأن

(شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا) عن الخروج في الجهاد و أنهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يستغفر لهم

قال الله تعالى:—(فَاسْتَغْفِرْ لَنَا) فإن طلبهم الاستغفار من رسول الله ﷺ يدل على:—

ندمهم و إقرارهم على أنفسهم بالذنب و أنهم تخلفوا تخلفا يحتاج إلى توبة و استغفار

(يَقُولُونَ يَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قَوْلٌ مَن يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا

بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)

فلو كان هذا الذي في قلوبهم لكان استغفار الرسول نافعا لهم لأنهم قد تابوا و أنابوا و لكن الذي في قلوبهم

أنهم إنما تخلفوا لأنهم ظنوا بالله ظن السوء 11

حقيقة المنافقين و عاقبتهم 11-16

(بَلْ ظَنَنْتُمْ) فظنوا

(أَنْ لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا) إنهم سيقتلون و يستأصلون

(وَزَيَّنَّ) حسن الشيطان (ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ) في قلوبكم

(وَلَقَدْ ظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَيِّئًا أَنْ اللَّهُ لَنْ يَنْصُرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَ أَصْحَابَهُ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ

* و لم يزل هذا الظن يزين في قلوبهم و يطمئنون إليه حتى استحکم و سبب ذلك أمران:—

أحدها:—(وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) هلكى لا خير فيهم فلو كان فيهم خير لم يكن هذا في قلوبهم 12

الثاني:—ضعف إيمانهم و يقينهم بوعده الله و نصر دينه و إعلاء كلمته

و لهذا قال:—(وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا) فإنه كافر مستحق للعقاب 13

(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

أي: هو تعالى المنفرد بملك السماوات و الأرض يتصرف فيهما بما يشاء من:-

الأحكام القدريّة و الأحكام الشرعية و الأحكام الجزائية

* و لهذا ذكر حكم الجزاء المرتب على الأحكام الشرعية فقال:- (يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ) و هو من بما أمره الله به

(وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ) ممن تهاون بأمر الله

(وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) وصفه اللازم الذي لا ينفك عنه المغفرة و الرحمة

* فلا يزال في جميع الأوقات يغفر للمذنبين و يتجاوز عن الخطائين و يتقبل توبة التائبين و ينزل خيره المدرار

آناء الليل و النهار 14

* لما ذكر تعالى المخلفين و ذمهم ذكر أن من عقوبتهم الدنيوية أن رسول الله ﷺ و أصحابه إذا انطلقوا إلى

غنائم ليأخذوها طلبوا منهم الصحبة و المشاركة ويقولون: {ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ} بذلك

{أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ} حيث حكم بعقوبتهم و اختصاص الصحابة المؤمنين بتلك الغنائم شرعا و قدرا.

(سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ) أي يأيها النبي- أنت و أصحابك

(إِلَى مَغَانِمَ) خير التي وعدكم الله بها التي لا قتال فيها

(لِتَأْخُذُوهَا) ليأخذوها فيطلبوا منهم الصحبة و المشاركة-(اتركونا نذهب معكم إلى «خير»)

(يُرِيدُونَ) بذلك أن يغيروا بذلك وعد الله لكم

(أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) حيث حكم بعقوبتهم و اختصاص الصحابة المؤمنين بتلك الغنائم شرعا و قدرا.

(قُلْ) لهم

(لَن تَتَّبِعُونَا) لن تخرجوا معنا إلى «خير»

(كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ) إنكم محرومون منها بما جنيتهم على أنفسكم و بما تركتم القتال أول مرة.

لأن الله تعالى قال لنا من قبل رجوعنا إلى «المدينة»: -إن غنائم «خير» هي لمن شهد «الحديبية» معنا

(فَسَيَقُولُونَ) ليس الأمر كما تقولون إن الله لم يأمركم بهذا إنكم تمنعوننا من الخروج معكم:-

(بَلْ تَحَسُدُونَا) لئلا نصيب معكم الغنيمة

* هذا منتهى علمهم في هذا الموضع و لو فهموا رشدهم لعلموا أن حرمانهم بسبب عصيانهم و أن المعاصي

لها عقوبات دنيوية و دينية

و لهذا قال: (بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ) عن الله ما لهم و ما عليهم من أمر الدين

(إِلَّا قَلِيلًا) يسيرًا.

أحاديث وردت في صلح الحديبية:-

*مسلم (1856) عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ:- كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَ أَرْبَع مِائَةً فَبَايَعَنَاهُ وَ عَمْرٌ أَخَذُ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَ هِيَ سَمُرَةٌ وَقَالَ: «بَايَعَنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نَفِرَ وَلَمْ تُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ»

*البخارى (2960) عَنْ سَلَمَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ عَدَلْتُ إِلَى ظِلِّ الشَّجَرَةِ فَلَمَّا خَفَّ النَّاسُ قَالَ: «يَا ابْنَ الْأَكُوْعِ أَلَا تُبَايِعُ؟» قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَأَيْضًا»

فَبَايَعْتُهُ الثَّانِيَةَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تُبَايِعُونَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: عَلَى الْمَوْتِ

*مسلم (1807) حَدِيثُ إِيَّاسُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكُوْعِ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قَدِمْنَا الْحُدَيْبِيَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَ نَحْنُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ

مِائَةً وَعَلَيْهَا خُمْسُونَ شَاةً لَا تُرْوِيهَا قَالَ:- فَقَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى جَبَا الرِّكْبَةِ (الجبا ما حول البئر والركي البئر)

فَامَّا دَعَا وَإِمَّا بَصَقَ فِيهَا قَالَ: فَجَاشَتْ (ارتفعت وفاضت يقال جاش الشيء يجيش جيشانا إذا ارتفع) فَسَقَيْنَا وَ اسْتَقَيْنَا قَالَ:

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم دَعَانَا لِلْبَيْعَةِ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ

قَالَ: فَبَايَعْتُهُ أَوَّلَ النَّاسِ ثُمَّ بَايَعَ وَ بَايَعَ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسْطٍ مِنَ النَّاسِ

قَالَ: «بَايِعْ يَا سَلَمَةُ» قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ

قَالَ: «وَأَيْضًا» قَالَ: وَ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَزَلًا - يَعْنِي لَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ - قَالَ:

فَاعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَجَفَةً - أَوْ دَرَقَةً - (هما شيهتان بالترس)

ثُمَّ بَايَعَ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ النَّاسِ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُنِي يَا سَلَمَةُ؟»

قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ وَ فِي أَوْسَطِ النَّاسِ قَالَ: «وَأَيْضًا» قَالَ: فَبَايَعْتُهُ الثَّالِثَةَ

ثُمَّ قَالَ لِي:- «يَا سَلَمَةُ أَيْنَ حَجَفَتُكَ - أَوْ دَرَقَتُكَ - الَّتِي أُعْطِيتُكَ؟»

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَبِنِي عَمِّي عَزَلًا فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم

وَ قَالَ: إِنَّكَ كَلَذِي قَالَ الْأَوَّلُ (الذي صفة لمحذوف أي أنك كالقول الذي قاله الأول فالأول بالرفع فاعل والمراد به هنا المتقدم بالزمان يعني أن شأنك هذا مع ابن

عمك يشبه فحوى القول الذي قاله الرجل المتقدم زمانه):-اللَّهُمَّ أَبْغِنِي حَبِيبًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي "

ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ رَاسَلُونَا (راسلونا من المراسلة أي أرسلنا إليهم وأرسلوا إلينا في أمر الصلح) الصَّلَحَ حَتَّى مَشَى بَعْضُنَا فِي بَعْضٍ

(في هنا بمعنى إلى أي مشى بعضنا إلى بعض و ربما كانت بمعنى مع فيكون المعنى مشى بعضنا مع بعض) وَ اضْطَلَحْنَا

قَالَ: وَ كُنْتُ تَبِيعًا (خادما أتبعه) لِطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَسْقِي فَرَسَهُ وَأَحْسُهُ (أحك ظهره بالمحسة لأزيل عنه الغبار و نحوه) وَأَخْدِمُهُ

وَ آكُلُ مِنْ طَعَامِهِ وَ تَرَكْتُ أَهْلِي وَمَالِي مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:

فَلَمَّا اضْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ وَ اخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ أَتَيْتُ شَجَرَةً فَكَسَحْتُ شَوْكَهَا (كنست ما تحتها من الشوك)

فَاضْطَجَعْتُ فِي أَصْلِهَا قَالَ: فَاتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَجَعَلُوا يَقْعُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَبْغَضْتُهُمْ

فَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى وَعَلَقُوا سِلَاحَهُمْ وَ اضْطَجَعُوا فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٌ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي يَا لَلْمُهَاجِرِينَ

قَتَلَ ابْنُ زُنَيْمٍ قَالَ: فَاخْتَرَطْتُ سَيْفِي (سللته) ثُمَّ شَدَدْتُ (حملت و كررت) عَلَى أَوْلَيْكَ الْأَرْبَعَةَ وَ هُمْ رُقُودٌ

فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ فَجَعَلْتُهُ ضِعْثًا (الضعث الحزمة يريد أنه أخذ سلاحهم وجمع بعضه إلى بعض حتى جعله في يده حزمة قال في المصباح الأصل في الضعث أن يكون

له قضبان يجمعها أصل واحد ثم كثر حتى استعمل فيما يجمع) فِي يَدِي قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ وَ الَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا

ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ (يريد رأسه) قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ بِهِمْ أَسْوَفَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:-

وَجَاءَ عَمِّي عَامِرٌ بِرَجُلٍ مِنَ الْعَبَلَاتِ (عليه تجفاف و هو ثوب كالجل يلبسه الفرس ليقيه السلاح و جمعه تجافيف) يُقَالُ لَهُ:-

مَكْرَزُ قُودِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى فَرَسٍ مُجَفَّفٍ فِي سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم

فَقَالَ: «دَعُوهُمْ يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ (البداء وهو الابتداء) وَ ثَنَاهُ (عودة ثانية أي أوله وآخره والثنى الأمر يعاد مرتين)» فَعَفَا عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم وَ أَنْزَلَ اللَّهُ: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمُ الْآيَةُ) لَهَا قَالَ:

ثُمَّ خَرَجْنَا رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَتَزَلْنَا مَنْزِلًا بَيْنَنَا وَ بَيْنَ بَنِي لَحْيَانَ جَبَلٌ وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ

(أي هموا النبي ﷺ وأصحابه وخافوا غائلتهم يقال همني الأمر وأهمني وقيل همني أذابني وأهمني أغمى وقيل معناه هم أمر المشركين النبي ﷺ خوف أن يبيتوهم لقربهم

منهم) فَاسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ رَقَىٰ هَذَا الْجَبَلَ اللَّيْلَةَ كَأَنَّهُ طَلِيعَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ قَالَ سَلَمَةُ:

فَرَقِيتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِظَهْرِهِ (الظهر الإبل تعد للركوب وحمل الأثقال)

مَعَ رَبَاحٍ غُلَامٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ وَخَرَجْتُ مَعَهُ بِفَرَسٍ طَلْحَةَ أُنْدِيهِ

(معناه أن يورد المشاة الماء فتسقى قليلا ثم ترسل في المرعى ثم ترد الماء فتد قليلا ثم ترد إلى المرعى) مَعَ الظَّهْرِ

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَزَارِيُّ قَدْ أَغَارَ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْفَقَهُ أَجْمَعَ وَ قَتَلَ رَاعِيَهُ قَالَ: فَقُلْتُ:

يَا رَبَّاحُ خُذْ هَذَا الْفَرَسَ فَأَبْلِغْهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ وَ أَخْبِرْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَغَارُوا عَلَى سَرَحِهِ قَالَ: ثُمَّ قُمْتُ عَلَى أَكْمَةٍ فَاسْتَقْبَلْتُ الْمَدِينَةَ فَنَادَيْتُ ثَلَاثًا: يَا صَبَاحَاهُ

ثُمَّ خَرَجْتُ فِي آثَارِ الْقَوْمِ أُرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ وَأَرْتَجِزُ أَقُولُ: أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

فَالْحَقُّ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصْكُ سَهْمًا فِي رَحْلِهِ (أضرب) حَتَّى خَلَصَ نَصْلُ السَّهْمِ إِلَى كَتِفِهِ قَالَ: قُلْتُ:-

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ قَالَ:- فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ أُرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ بِهِمْ

(أرْميهم بالنبل وأعقر خيلهم أصل العقر ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف ثم اتسع حتى استعمل في القتل كما وقع هنا وحتى صار يقال عقرت البعير أي نحرته)

فَإِذَا رَجَعَ إِلَيَّ فَارِسٌ أَتَيْتُ شَجَرَةً فَجَلَسْتُ فِي أَصْلِهَا ثُمَّ رَمَيْتُهُ فَعَقَرْتُ بِهِ حَتَّى إِذَا تَضَاقَقَ الْجَبَلُ فَدَخَلُوا فِي تَضَاقِقِهِ

(التضايق ضد الاتساع أي تدانى فدخلو في تضايقه أي المحل المتضايق منه بحيث استتروا به عنه فصار لا يبلغهم ما يرميهم به من السهام) عَلَوْتُ الْجَبَلَ

فَجَعَلْتُ أُرْدِيهِمْ بِالْحِجَارَةِ

(يعني لما امتنع على رميهم بالسهام عدلت عن ذلك إلى رميهم من أعلى الجبل بالحجارة التي تسقطهم وتهورهم يقال ردى الفرس راكبه إذا أسقطه وهوره)

قَالَ: فَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ أَتْبَعُهُمْ حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ بَعِيرٍ مِنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا خَلَفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي وَخَلَوُا بَيْنِي وَ بَيْنَهُ

ثُمَّ أَتْبَعْتُهُمْ أُرْمِيهِمْ حَتَّى أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً وَثَلَاثِينَ رُمْحًا يَسْتَحْفُونَ وَ لَا يَطْرَحُونَ شَيْئًا إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ آرَامًا مِنَ

الْحِجَارَةِ (وَهِيَ الْأَعْلَامُ وَهِيَ حِجَارَةٌ تُجْمَعُ وَتُنْصَبُ فِي الْمَقَارَةِ يُهْتَدَى بِهَا وَاحِدًا إِرْمٌ كَعَبٍ وَأَعْنَابٍ) يَعْرِفُهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى أَتَوْا مُتَضَاقِقًا

مِنْ ثَنِيَّةٍ فَإِذَا هُمْ قَدْ أَتَاهُمْ فَلَانُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ

فَجَلَسُوا يَتَضَحَّوْنَ - يَعْنِي يَتَغَدَّوْنَ - وَجَلَسْتُ عَلَى رَأْسِ قَرْنٍ (وَهُوَ كُلُّ جَبَلٍ صَغِيرٍ مُنْقَطِعٍ عَنِ الْجَبَلِ الْكَبِيرِ)

قَالَ الْفَزَارِيُّ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَى؟

قَالُوا: لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرْحِ (شِدَّةُ قُوَّتِهِ) وَ اللَّهُ مَا فَارَقْنَا مِنْذُ غَلَسَ يَرْمِينَا حَتَّى انْتَزَعَ كُلُّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا قَالَ:

فَلَيْقُمْ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ أَرْبَعَةٌ قَالَ: فَصَعِدَ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي الْجَبَلِ قَالَ:- فَلَمَّا أَمَكُنُونِي مِنَ الْكَلَامِ قَالَ: قُلْتُ: هَلْ تَعْرِفُونِي؟

قَالُوا: لَا وَ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ وَ الَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا أَطْلُبُ رَجُلًا مِنْكُمْ إِلَّا أَدْرَكْتُهُ

وَ لَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيُدْرِكُنِي قَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا أَظُنُّ

قَالَ: فَارْجِعُوا فَمَا بَرَحْتُ مَكَانِي حَتَّى رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ (يَدْخُلُونَ مِنْ خِلَالِهَا أَيْ بَيْنَهَا)

قَالَ: فَإِذَا أَوَّلُهُمُ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيُّ عَلَى إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَعَلَى إِثْرِهِ الْمُفْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ قَالَ:

فَأَخَذْتُ بَعْنَانَ الْأَخْرَمِ قَالَ: فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ قُلْتُ: يَا أَخْرَمُ احْذَرُهُمْ لَا يَفْتَطِعُوكَ حَتَّى يَلْحَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ

قَالَ: يَا سَلَمَةُ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَ بَيْنَ الشَّهَادَةِ قَالَ:

فَخَلَيْتُهُ فَالْتَقَى هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ: فَعَقَرَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَرَسَهُ وَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ وَتَحَوَّلَ عَلَى فَرَسِهِ

وَ لَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ فَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ فَوَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَتَبِعْتُهُمْ أَعْدُو عَلَى رِجْلَيَّ

حَتَّى مَا أَرَى وَرَائِي مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَ لَا غُبَارِهِمْ شَيْئًا حَتَّى يَعْدِلُوا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى شَعْبٍ فِيهِ مَاءٌ يُقَالُ

لَهُ: دَوْ قَرْدٍ لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَهُمْ عَطَاشٌ قَالَ: فَنَظَرُوا إِلَيَّ أَعْدُو وَرَاءَهُمْ فَخَلَيْتُهُمْ عَنْهُ - يَعْنِي أَجَلَيْتُهُمْ عَنْهُ - (طَرَدْتُهُمْ عَنْهُ)

فَمَا ذَاقُوا مِنْهُ قَطْرَةً قَالَ: وَيَخْرُجُونَ فَيَسْتَدُونُ فِي ثَنِيَّةٍ قَالَ: فَأَعْدُو فَالْحَقُّ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصْكُهُ بِسَهْمٍ فِي نَعْصِ كِفِهِ

(وَهُوَ الْعَظْمُ الرَّقِيقُ عَلَى طَرَفِ الْكَتِفِ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ تَحْرُكِهِ وَهُوَ النَّاعِضُ أَيْضًا)

قَالَ: قُلْتُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ قَالَ: يَا ثَكِلَتَهُ أُمُّهُ (فَقَدَّتْهُ أُمُّهُ) أَكْوَعُهُ بُكْرَةً؟

(هُوَ بَرَفَعِ الْعَيْنِ أَنْ أَنْتَ الْأَكْوَعُ الَّذِي كُنْتَ بَكْرَةً هَذَا النَّهَارِ وَلِهَذَا قَالَ نَعَمْ وَبَكْرَةٌ مَنْصُوبٌ غَيْرُ مَنْوِنٍ قَالَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ يُقَالُ أَتَيْتُهُ بِكْرَةً بِالتَّنْوِينِ إِذَا أَرَدْتَ أَنَّكَ لَقَيْتَهُ بَاكِراً فِي يَوْمٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ قَالُوا وَإِنْ أَرَدْتَ بِكْرَةً يَوْمَ بَعَثْنِي قُلْتَ أَتَيْتُهُ بِكْرَةً غَيْرُ مَنْصُوبٍ لِأَنَّهَا مِنَ الظُّرُوفِ غَيْرِ الْمُتَمَكِّنَةِ)
قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ أَكْوَعُكَ بِكْرَةً قَالَ: وَ أَرَدُوا فَرَسَيْنِ عَلَى ثَنِيَّةٍ
(خَلَفُوهُمَا وَالرِّدْيُ الضَّعِيفُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَبِالْمُهْمَلَةِ مَعْنَاهُ أَهْلَكُوهُمَا وَأَتَعَبُوهُمَا حَتَّى اسْقَطُوهُمَا تَرْكُوهُمَا وَمِنْهُ الرِّدْيَةُ وَأَرَدَتِ الْفَرَسُ الْفَارِسَ اسْقَطَتْهُ)
قَالَ:- فَجِئْتُ بِهِمَا أَسُوفُهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:-

و لِحِقْنِي عَامِرٌ بِسَطِيحَةٍ فِيهَا (إِنَاءٌ مِنْ جُلُودِ سَطِحٍ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ) مَذْقَةً (وَالْمَذْقَةُ يَفْتَحُ الْمِيمُ وَإِسْكَانُ الدَّالِ الْمُعْجَمَةُ قَلِيلٌ مِنْ لَبَنٍ مَمْرُوجٍ مَاءٍ) مِنْ لَبَنٍ وَ سَطِيحَةٍ فِيهَا مَاءٌ

فَتَوَضَّأْتُ وَشَرِبْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي حَلَّاهُمْ عَنْهُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الْإِبِلَ وَ كُلَّ شَيْءٍ اسْتَنْقَذْتُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَكُلَّ رُمَحٍ وَبَرْدَةٍ وَإِذَا بِلَالٌ نَحَرَ نَاقَةً مِنَ الْإِبِلِ الَّتِي اسْتَنْقَذْتُ مِنَ الْقَوْمِ
وَ إِذَا هُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كَبِدِهَا وَسَنَامِهَا قَالَ: قُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ خَلِّنِي فَأَتَّخِبَ مِنَ الْقَوْمِ مِائَةَ رَجُلٍ فَأَتَّبِعُ الْقَوْمَ فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ
قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ (أَنبَاءُهُ) فِي ضَوْءِ النَّارِ فَقَالَ: «يَا سَلَمَةُ أَتَرَآكَ كُنتَ فَاعِلاً؟» قُلْتُ:-
نَعَمْ وَ الَّذِي أُرْكَمَكَ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ الْآنَ لَيُفْرُونَ فِي أَرْضِ غَطَفَانَ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ فَقَالَ:-

نَحَرَ لَهُمْ فَلَانٌ جَزُورًا فَلَمَّا كَشَفُوا جِلْدَهَا رَأَوْا غُبَارًا فَقَالُوا: أَتَاكُمْ الْقَوْمُ فَخَرَجُوا هَارِبِينَ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-
«كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ وَخَيْرَ رَجَالِنَا سَلَمَةُ» (هَذَا فِيهِ اسْتِجَابُ الثَّنَاءِ عَلَى الشُّجْعَانِ وَسَائِرِ أَهْلِ الْقَضَائِلِ لَا سِيَّمَا عِنْدَ صَنِيعِهِمُ الْجَمِيلِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّرْغِيبِ لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ فِي الْإِكْتِمَارِ مِنْ ذَلِكَ الْجَمِيلِ وَهَذَا كُلُّهُ فِي حَقِّ مَنْ يَأْمَنُ الْفِتْنَةَ عَلَيْهِ بِإِعْجَابٍ وَنُحُوهِ)
قَالَ: ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَهْمَيْنِ سَهْمَ الْفَارِسِ وَسَهْمَ الرَّاجِلِ فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا

(هَذَا مَخْمُولٌ عَلَى أَنَّ الرَّائِدَ عَلَى سَهْمِ الرَّاجِلِ كَانَ نَفْلًا وَهُوَ حَقِيقٌ بِاسْتِحْقَاقِ النَّفْلِ ﷺ لِبَدِيعِ صَنَعِهِ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ)

ثُمَّ أَرَدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَأَاهُ عَلَى الْعَضْبَاءِ رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ قَالَ:-

وَ كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يُسَبِّقُ شَدًّا (عَدُوًّا عَلَى الرُّجُلَيْنِ) قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: «أَلَا مُسَابِقُ إِلَى الْمَدِينَةِ؟ هَلْ مِنْ مُسَابِقٍ؟»
فَجَعَلَ يَعِيدُ ذَلِكَ قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ قُلْتُ: أَمَّا تَكْرِمُ كَرِيمًا وَلَا تَهَابُ شَرِيفًا

قَالَ: لَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَأَيِّ وَأُمِّي ذَرْنِي فَلَأَسَابِقَ الرَّجُلَ
قَالَ: «إِنْ شِئْتَ» قَالَ: قُلْتُ: أَذْهَبَ إِلَيْكَ وَتَنَيْتُ رَجُلِي فَطَفَّرْتُ (وَبَثْتُ وَفَقَزْتُ) فَعَدَوْتُ

قَالَ: فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا - أَوْ شَرْقَيْنِ - اسْتَبَقِي نَفْسِي (حَبَسْتُ نَفْسِي عَنِ الْجُرْيِ الشَّدِيدِ وَالشَّرَفُ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَقَوْلُهُ اسْتَبَقِي نَفْسِي يَفْتَحُ الْفَاءُ أَيِ
لَيْلًا يَقْطَعِي الْبَهْرَ وَفِي هَذَا دَلِيلٌ بِجَوَازِ الْمُسَابَقَةِ عَلَى الْأَقْدَامِ وَهُوَ جَائِزٌ بِلَا خِلَافٍ إِذَا تَسَابَقَا بِلَا عَوْضٍ فَإِنْ تَسَابَقَا عَلَى عَوْضٍ فَفِي صِحَّتِهَا خِلَافٌ الْأَصَحُّ عِنْدَ أَصْحَابِنَا لَا تَصِحُّ
ثُمَّ عَدَوْتُ فِي إِثْرِهِ فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا - أَوْ شَرْقَيْنِ - ثُمَّ إِنِّي رَفَعْتُ حَتَّى أَلَحَقَهُ قَالَ: فَأَصْدَهُ بَيْنَ كَفَيْهِ قَالَ: قُلْتُ:
قَدْ سِبَقْتُ وَاللَّهِ قَالَ: أَنَا أَظُنُّ قَالَ: فَسَبَقْتُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا لَبِثْنَا إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

فَجَعَلَ عَمِّي (قَالَ هُنَا عَمِّي وَقَدْ سَبَقَ فِي حَدِيثِ أَبِي الطَّاهِرِ عَنْ بَنٍ وَهَبٍ أَنَّهُ قَالَ أَخِي فَلَعَلَّهُ كَانَ أَخَاهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَكَانَ عَمَّهُ مِنَ النَّسَبِ) عَامِرٌ يَرْتَجِزُ بِالْقَوْمِ
تَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَ لَا تَصَدَّقْنَا وَ لَا صَلَيْنَا وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا فَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا وَ أَنْزَلْنَا سَكِينَةً
عَلَيْنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:- «مَنْ هَذَا؟» قَالَ:- أَنَا عَامِرٌ قَالَ: «غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ»

قَالَ: وَ مَا اسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ يَخْصُهُ إِلَّا اسْتَشْهَدَ قَالَ: فَتَدَايَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَ هُوَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ:
يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَوْلَا مَا مَتَّعْتَنَا بِعَامِرٍ قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ قَالَ: خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَبٌ يَخْطُرُ بِسَيْفِهِ
(يَرْفَعُهُ مَرَّةً وَيَضَعُهُ أُخْرَى وَمِثْلُهُ خَطَرُ الْبُعِيرِ بِذَنَبِهِ يَخْطُرُ بِالْكَسْرِ إِذَا رَفَعَهُ مَرَّةً وَوَضَعَهُ مَرَّةً) وَ يَقُولُ:-

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرَ أَيُّ مَرْحَبٍ شَاكِيَ السَّلَاحِ (تَأْمُ السَّلَاحُ يُقَالُ رَجُلٌ شَاكِيَ السَّلَاحِ وَشَاكَ فِي السَّلَاحِ مِنَ الشُّوْكََةِ وَهِيَ الْقُوَّةُ وَالشُّوْكََةُ أَيْضًا السَّلَاحُ
وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكََةِ تَكُونُ لَكُمْ) بَطْلٌ مُجَرَّبٌ

(مُجَرَّبٌ بِالشُّجَاعَةِ وَقَهْرُ الْفَرَسَانِ وَالبطل الشجاع يقال بَطَلُ الرَّجُلِ بِضَمِّ الطَّاءِ يَبْطُلُ بَطَالَةً وَبُطُولَةً أَيِ صَارَ شُجَاعًا) إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

قَالَ: وَ بَرَزَ لَهُ عَمِّي عَامِرٌ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرَ أَيُّ عَامِرٍ شَاكِيَ السَّلَاحِ

بَطْلٌ مُعَامِرٌ (يَرْكَبُ غِمَرَاتِ الْحَرْبِ وَشِدَائِدَهَا وَيُلْقِي نَفْسَهُ فِيهَا)

قَالَ: فَأَخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ فَوَقَعَ سَيْفُ مَرْحَبٍ فِي ثُرْسِ عَامِرٍ

وَذَهَبَ عَامِرٌ يَسْفُلُ لَهُ (أَي يَضْرِبُهُ مِنْ أَسْفَلِهِ هُوَ يَفْتَحُ الْبَاءَ وَإِسْكَانَ السَّيْنِ وَصَمَّ الْفَاءَ قَوْلُهُ (وَهُوَ أَرْمَدُ) قَالَ أَهْلُ اللَّغَةِ يُقَالُ رَمَدَ الْإِنْسَانُ بِكَسْرِ الْمِيمِ يَرْمَدُ بِفَتْحِهَا

رَمَدًا فَهُوَ رَمَدٌ وَأَرْمَدٌ إِذْ هَاجَتْ عَيْنُهُ) فَارْجَعَ سَيْفُهُ عَلَى نَفْسِهِ فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ فَكَانَتْ فِيهَا نَفْسُهُ قَالَ سَلَمَةُ: فَخَرَجْتُ

فَإِذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُونَ: بَطْلٌ عَمَلُ عَامِرٍ قَتَلَ نَفْسَهُ قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي فَقُلْتُ:-

يَا رَسُولَ اللَّهِ بَطْلٌ عَمَلُ عَامِرٍ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ ذَلِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ:

نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ قَالَ: «كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ» ثُمَّ أَرْسَلَنِي إِلَى عَلِيٍّ وَهُوَ أَرْمَدٌ فَقَالَ:

«لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» - أَوْ «يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» -

قَالَ: فَأَتَيْتُ عَلِيًّا فَجِئْتُ بِهِ أَقْوَدُهُ وَهُوَ أَرْمَدٌ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَبَسَقَ

(يقال بزق وبسق وبسق ثلاث لغات بمعنى والسين قليلة الاستعمال) فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ وَخَرَجَ مَرْحَبٌ فَقَالَ:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرَ أُنَى مَرْحَبٍ ... شَاكِيَ السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ

إِذَا الْحُرُوبُ... أَقْبَلْتُ تَلَهَّبُ

فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا الَّذِي سَمَنْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ ... كَلَيْتَ غَابَاتٍ كَرِيهِهِ الْمَنْظَرَهُ

أَوْفِيهِمْ بِالصَّاعِ.... كَيْلَ السُّنْدَرَةِ

(حَيْدَرُهُ اسْمٌ لِلْأَسَدِ وَكَانَ عَلِيٌّ ﷺ قَدْ سَمِيَ أَسَدًا فِي أَوَّلِ وَلَادَتِهِ وَكَانَ مَرْحَبٌ قَدْ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّ أَسَدًا يَقْتُلُهُ فَذَكَرَهُ عَلِيٌّ ﷺ ذَلِكَ لِيُخَيِّفَهُ وَيُضْعِفَ نَفْسَهُ قَالُوا وَكَانَتْ أُمُّ عَلِيٍّ سَمَتْهُ

أَوَّلَ وَلَادَتِهِ أَسَدًا بِاسْمِ جَدِّهِ الْأَمَةِ أَسَدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ غَائِبًا فَلَمَّا قَدِمَ سَمَاهُ عَلِيًّا وَسَمِيَ الْأَسَدَ حَيْدَرَةً لِيُغَلِّظَهُ وَالْحَادِرُ الْغَلِيظُ الْقَوِيُّ وَمَرَادُهُ أَنَا الْأَسَدُ عَلَى

جَرَأَتِهِ وَإِقْدَامِهِ وَقُوَّتِهِ)

(السندرة:- أَقْتُلُ الْأَعْدَاءَ قَتْلًا وَاسِعًا ذَرِيعًا وَالسُّنْدَرَةُ مَكِّيَالٌ وَاسِعٌ وَقِيلَ هِيَ الْعَجَلَةُ أَيْ أَقْتُلُهُمْ عَاجِلًا وَقِيلَ مَأْخُودٌ مِنَ السُّنْدَرَةِ وَهِيَ شَجَرَةُ الصَّنَوْبَرِ يُعْمَلُ مِنْهَا الثُّبُلُ وَالْقِسِيُّ

(قَالَ: فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ (يَعْنِي عَلِيًّا فَقَتَلَهُ هَذَا هُوَ الْأَصَحُّ أَنَّ عَلِيًّا هُوَ قَاتِلُ مَرْحَبٍ وَقِيلَ إِنَّ قَاتِلَ مَرْحَبٍ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ)

فَقَتَلَهُ ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ

قَالَ بْنُ الْأَثِيرِ الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِ السِّيَرِ أَنَّ عَلِيًّا هُوَ قَاتِلُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَاعْلَمَ أَنَّ فِي

هَذَا الْحَدِيثِ أَنْوَاعًا مِنَ الْعِلْمِ سِوَى مَا سَبَقَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ مِنْهَا أَرْبَعُ مُعْجَزَاتٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ

1-احْدَاها تَكْثِيرُ مَاءِ الْحَدِيثِيَّةِ 2-إِبْرَاءُ عَيْنِ عَلِيٍّ ﷺ

3-الإِخْبَارُ بِأَنَّهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ وَقَدْ جَاءَ التَّصْرِيحُ بِهِ فِي رِوَايَةِ غَيْرِ مُسْلِمٍ هَذِهِ

4-إِخْبَارُهُ ﷺ بِأَنَّهُمْ يَقْرُونَ فِي غُطْفَانٍ وَكَانَ كَذَلِكَ 5-جَوَازُ الصُّلْحِ مَعَ الْعَدُوِّ

6-بَعَثُ الطَّلَائِعِ وَجَوَازُ الْمُسَابَقَةِ عَلَى الْأَرَجْلِ بِلَا عَوْضٍ وَفَضِيلَةُ الشَّجَاعَةِ وَالْقُوَّةِ

7-مَنَاقِبُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ وَ أَبِي قَتَادَةَ وَ الْأَحْزَمِ الْأَسْعَدِيِّ ؓ

8-جَوَازُ الثَّنَاءِ عَلَى مَنْ فَعَلَ جَمِيلًا وَ اسْتِحْبَابُ ذَلِكَ إِذَا تَرْتَبَ عَلَيْهِ مَصْلَحَةٌ كَمَا أَوْضَحْنَاهُ قَرِيبًا

9-جَوَازُ عَقْرِ خَيْلِ الْعَدُوِّ فِي الْقِتَالِ

10-وَ اسْتِحْبَابُ الرَّجَزِ فِي الْحَرْبِ

11-وَ جَوَازُ قَوْلِ الرَّامِي وَ الطَّاعِنِ وَ الضَّارِبِ خُذْهَا وَ أَنَا فَلَانٌ أَوْ بَنِ فَلَانٍ

12-جَوَازُ الْأَكْلِ مِنَ الْغَنِيمَةِ

13-وَ اسْتِحْبَابُ التَّنْفِيلِ مِنْهَا لِمَنْ صَنَعَ صَنِيعًا جَمِيلًا فِي الْحَرْبِ

14-وَ جَوَازُ الْإِرْدَافِ عَلَى الدَّابَّةِ الْمُطِيقَةِ

15-وَ جَوَازُ الْمُبَارَاةِ بِغَيْرِ إِذْنِ الْإِمَامِ

كَمَا بَارَزَ عَامِرٌ وَمِنْهَا مَا كَانَتْ الصَّحَابَةُ ؓ عَلَيْهِ مِنْ حُبِّ الشَّهَادَةِ وَالْحِرْصِ عَلَيْهَا

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأُسِّ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ
 فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا لِّئَلَّا تُتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾
 لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 يَدْخُلْهُ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ
 إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾
 وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا
 فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾
 وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَلُوكَانِ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَحْدُوثُ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ
 وَلَنْ يَجْعَلَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

* لما ذكر تعالى أن المخلفين من الأعراب يتخلفون عن الجهاد في سبيله و يعتذرون بغير عذر

و أنهم يطلبون الخروج معهم إذا لم يكن شوكة و لا قتال بل لمجرد الغنيمة قال تعالى ممتحننا لهم:-

(قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ) سيدعوكم الرسول و من ناب منابه من الخلفاء الراشدين و الأئمة و هؤلاء

القوم فارس و الروم و من نحا نحوهم و أشبههم لهوازن و ثقيف يوم حنين في السنة الثامنة من الهجرة

(إِلَىٰ قَوْمٍ أُولَىٰ بِأُسِّ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ) إما هذا و إما هذا وهذا هو الأمر الواقع

فإنهم في حال قتالهم و مقاتلتهم لأولئك الأقوام إذ كانت شدتهم و بأسهم معهم فإنهم في تلك الحال

لا يقبلون أن يبذلوا الجزية بل إما أن يدخلوا في الإسلام و إما أن يقاتلوا على ما هم عليه فلما أثنهم

المسلمون و ضعفوا و ذلوا ذهب بأسهم فصاروا:- 1- إما أن يسلموا 2- و إما أن يبذلوا الجزية

(فَإِنْ تُطِيعُوا) الداعي لكم إلى قتال هؤلاء

(يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا) و هو الأجر الذي رتبته الله و رسوله على الجهاد في سبيل الله

(وَلَنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ) عن قتال من دعاكم الرسول إلى قتاله

(يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) و دلت هذه الآية على:-

1- فضيلة الخلفاء الراشدين الداعين لجهاد أهل البأس من الناس 2- و أنه تجب طاعتهم في ذلك 16

*ثم ذكر الأعذار التي يعذر بها العبد عن الخروج إلى الجهاد فقال:-

(لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ) في التخلف عن الجهاد لعذرهم المانع.

(وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) في امتثال أمرهما و اجتناب نهيهما

(يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) فيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين

(وَمَنْ يَتَوَلَّ) عن طاعة الله و رسوله

بيعة الرضوان و نتائج الصلح 18-26

(يُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا) فالسعادة كلها في طاعة الله و الشقاوة في معصيته و مخالفته 17

(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ) يخبر تعالى بفضله و رحمته برضاه عن المؤمنين

(إِذْ يَبَايِعُونَكَ) أيها الرسول ﷺ تلك المبايعة التي بيضت وجوههم و اكتسبوا بها سعادة الدنيا والآخرة

و كان سبب هذه البيعة -التي يقال لها "بيعة الرضوان": لرضا الله عن المؤمنين فيها

(تَحْتَ الشَّجَرَةِ) و يقال لها "بيعة أهل الشجرة" أن رسول الله ﷺ لما دار الكلام بينه و بين المشركين يوم الحديبية

في شأن مجيئه و أنه لم يجئ لقتال أحد و إنما جاء زائرا هذا البيت معظما له

فبعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان لمكة في ذلك فجاء خبر غير صادق أن عثمان قتله المشركون

فجمع رسول الله ﷺ من معه من المؤمنين و كانوا نحوا من ألف و خمسمائة فبايعوه تحت شجرة على قتال

المشركين و أن لا يفروا حتى يموتوا

*فأخبر تعالى أنه رضى عن المؤمنين في تلك الحال التي هي من أكبر الطاعات و أجل القربات

(فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ) من الإيمان

(فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ) الطمأنينة (عَلَيْهِمْ)

شكرا لهم على ما في قلوبهم زادهم هدى و علم ما في قلوبهم من الجزع من تلك الشروط التي شرطها

المشركون على رسوله فأنزل عليهم السكينة تثبتهم وطمئن بها قلوبهم

(وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) فتح خير لم يحضره سوى أهل الحديبية

فاختصوا بخير وغنائمها جزاء لهم و شكرا على ما فعلوه من طاعة الله تعالى و القيام بمرضاته 18

(وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا)

فتح خيبر و مكة و سائر البلاد و الاقاليم و ما حصل لهم من العزة و النصر و الرفعة في الدنيا و الآخرة

(وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) له العزة و القدرة التي قهر بها الأشياء

فلو شاء لانتصر من الكفار في كل وقعة تكون بينهم و بين المؤمنين و لكنه حكيم يتلى بعضهم ببعض

و يمتحن المؤمن بالكافر **19**

(وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا) وهذا يشمل كل غنيمة غنمها المسلمين إلى يوم القيامة

(فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ) غنيمة خيبر أى: فلا تحسبوها وحدها بل ثم شيء كثير من الغنائم سيتبعها

(و) احمداوا الله إذ (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ)

القادرين على قتالكم الحريصين عليه الذين خلفتموهم وراء ظهوركم عن عيالكم و حريمكم (عَنْكُمْ) فهي نعمة وتخفيف عنكم.

(وَلِتَكُونَ) هذه الغنيمة

(آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ)

يستدلون بها على خبر الله الصادق و وعده الحق و ثوابه للمؤمنين و أن الذي قدرها سيقدر غيرها
*و أن الخيرة فيما اختاره الله و إن كرهوه في الظاهر (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) البقرة 216

(وَيَهْدِيَكُمْ) بما يقيض لكم من الأسباب -بسبب انقيادكم لاوامر الله و نبيه

(صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) من العلم و الإيمان و العمل **20**

(وَأُخْرَى) وعدكم أيضا غنيمة أخرى

(لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) وقت هذا الخطاب- أى ومغانم أخرى لم تقدرُوا عليها و هى غنائم فارس والروم.

(قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا)

هو قادر عليها و تحت تدبيره و ملكه و قد وعدكموها فلا بد من وقوع ما وعد به لكمال اقتدار الله تعالى

و لهذا قال: (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) **21**

(وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا)

هذه بشارة من الله لعباده المؤمنين بنصرهم على أعدائهم الكافرين و أنهم لو قابلوهم و قاتلوهم

(لَوَلَوْ الْأَدْبَرُ ثُمَّ لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا) يتولى أمرهم

(وَلَا نَصِيرًا) ينصرهم و يعينهم على قتالكم بل هم مخذولون مغلوبون **22**

(سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ) وهذه سنة الله في الأمم السابقة أن جند الله هم الغالبون

(وَلَنْ يَجِدَ) أيها النبي (لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) تغييرا لثما حدث في بدر مع قلة المسلمين **23**

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ^{٢٤}
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٥﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا
أَنْ يَبْلُغَ مُحِلُّهُ وَلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطْهُوهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ^{٢٦}
لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٧﴾
إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا^{٢٨}
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٩﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّسُلَ بِالْحَقِّ
لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ
فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٣٠﴾
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٣١﴾

*المسند من اسباب النزول-البخارى

2731 عَنْ الْمِسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَ مَرْوَانَ يُصَدِّقُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ قَالَا:-
خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَّةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-
«إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقْرِيشٍ طَلِيعَةً فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ»
فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتْرَةِ الْجَيْشِ فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقْرِيشٍ
وَ سَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبِطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتٌ بِهِ رَاحِلَتُهُ
فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ فَالْحَتَّ فَقَالُوا: خَلَّاتِ الْقُصُوءُ خَلَّاتِ الْقُصُوءُ
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:- «مَا خَلَّاتِ الْقُصُوءُ وَ مَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَ لَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ»
ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»
ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَفْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى تَمَدٍّ قَلِيلٍ الْمَاءِ يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا
فَلَمْ يَلْبَثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ وَشَكِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَطَشُ
فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيئُ لَهُمْ بِالرُّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ فَبَيْنَمَا
هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخَزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خَزَاعَةَ
وَ كَانُوا عَيْنَةَ نَصَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ
مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَّةِ وَمَعَهُمُ الْعُودُ الْمَطَافِيلُ وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَ لَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَ إِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبُ أَضَرَّتْ بِهِمْ
فَإِنْ شَاءُوا مَا دَدْتُهُمْ مَدَّةً وَيُخْلَوْا بَيْنِي وَ بَيْنَ النَّاسِ
فَإِنْ أَظْهَرُ: فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَ إِلَّا فَقَدْ جَمُّوا وَإِنْ هُمْ أَبَوْا

فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقَاتِلَنَّهُمْ عَلَىٰ أَمْرِي هَذَا حَتَّىٰ تَنْفِرَ سَالِفَتِي وَكَيْفَ ذَنْ اللَّهِ أَمْرَهُ " فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَابَلُغُهُمْ مَا تَقُولُ قَالَ:فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ أَتَىٰ قُرَيْشًا قَالَ: -

إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا فَقَالَ سَفَهَاؤُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ وَ قَالَ ذُوو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ قَالَ:

سَمِعْتَهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ:أَيُّ قَوْمٍ أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى قَالَ: أَوْلَسْتُ بِالْوَلَدِ؟ قَالُوا: بَلَى قَالَ: فَهَلْ تَتَّهَمُونِي؟

قَالُوا: لَاقَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَيَّ اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عَكَاظٍ فَلَمَّا بَلَحُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا:-بَلَى قَالَ:فَإِنْ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةٌ رُشِدٍ اقْبَلُوهَا وَ دَعُونِي آتِيهِ

قَالُوا: ائْتِهِ فَآتَاهُ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ

فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ:أَيُّ مُحَمَّدٍ أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاكَ أَهْلُهُ قَبْلَكَ وَ إِنْ تَكُنَ الْآخَرَىٰ فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَىٰ وَجُوهًا وَ إِنِّي لَأَرَىٰ أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيفًا أَنْ يَفِرُوا وَيَدْعُوكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ:امْضُصْ بِنَظَرِ اللَّاتِ أَنْحُنْ نَفَرٌ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟

فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ قَالَ: أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْبَتِكَ قَالَ:

وَ جَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَكَلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ وَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَ مَعَهُ السَّيْفُ وَ عَلَيْهِ الْمِغْفَرُ فَكَلَّمَا أَهْوَىٰ عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَىٰ لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدُهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ

وَ قَالَ لَهُ: أَخْرَ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ

فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَقَالَ:أَيُّ غُدْرٍ أَلَسْتُ أَسْعَىٰ فِي غُدْرَتِكَ؟

وَ كَانَ الْمُغِيرَةُ صَحْبٌ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَفَتَلَهُمْ وَ أَخَذَ أَمْوَالَهُمْ

ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«أَمَّا الْإِسْلَامَ فَأَقْبَلْ وَ أَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ»

ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا تَنَحَّمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ

وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَ إِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَىٰ وَضُوئِهِ

وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَ مَا يُحْدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ

فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ فَقَالَ:أَيُّ قَوْمٍ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَ وَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَ كِسْرَىٰ وَ النَّجَاشِيِّ

وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلَكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا

وَاللَّهِ إِنْ تَنَحَّمُ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ

وَ إِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَ إِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَىٰ وَضُوئِهِ

وَ إِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَ مَا يُحْدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ

وَ إِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةٌ رُشِدٍ فَاقْبَلُوهَا فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ فَقَالُوا: ائْتِهِ

فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«هَذَا فُلَانٌ وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُذْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ»

فَبِعِثَتْ لَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يَلْبُثُونَ فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ قَالَ:

سُبْحَانَ اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ قَالَ:

رَأَيْتُ الْبُذْنَ قَدْ قُلِدَتْ وَأَشْعِرْتُ فَمَا أَرَىٰ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ

فَقَالَ:عُونِي آتِيهِ فَقَالُوا: ائْتِهِ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا مِكْرَزٌ وَ هُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ»

فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو
قَالَ مَعْمَرُ: فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ سَهِّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»
قَالَ مَعْمَرُ: قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ:

فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْكَاتِبَ
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»
قَالَ سُهَيْلُ: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَ اللَّهُ مَا أَذْرِي مَا هُوَ وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ
فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»

ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»
فَقَالَ سُهَيْلُ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ
وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي
اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» - قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ:
«لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا» - فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:

«عَلَى أَنْ تُخْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَتَطُوفَ بِهِ»
فَقَالَ سُهَيْلُ: وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أَخَذْنَا ضُغْطَةً وَ لَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَكَتَبَ
فَقَالَ سُهَيْلُ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا
قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ كَيْفَ يَرُدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟
فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُبُودِهِ
وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ
فَقَالَ سُهَيْلُ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أَقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ» قَالَ: فَوَاللَّهِ إِذَا لَمْ أَصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَجِزْهُ لِي» قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ قَالَ: «بَلَى فَاَفْعَلْ»
قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ قَالَ مِ كُوزُ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ

قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيُّ مَعْشَرِ الْمُسْلِمِينَ أُرِدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟
وَ كَانَ قَدْ عَذَّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ قَالَ: فَقَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَاتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ
فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا قَالَ: «بَلَى» قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُونَا عَلَى الْبَاطِلِ
قَالَ: «بَلَى» قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟

قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَ لَسْتُ أَغْصِيهِ وَ هُوَ نَاصِرِي» قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَتَطُوفُ بِهِ؟
قَالَ: «بَلَى فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ» قَالَ: قُلْتُ: لَا
قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَ مُطَوِّفٌ بِهِ» قَالَ: فَاتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟
قَالَ: بَلَى قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟

قَالَ: بَلَى قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: - أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ
وَ لَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَ هُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِكْ بِغُرْزِهِ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ

قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَ نَطُوفُ بِهِ؟
 قَالَ: بَلَى أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لَأَقَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَ مُطَوِّفٌ بِهِ -
 قَالَ الزُّهْرِيُّ:- قَالَ عُمَرُ :- فَعَمِلْتُ لِدَلِّكَ أَعْمَالًا قَالَ: فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ قُضِيَّةِ الْكِتَابِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلُقُوا»
 قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ
 فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ
 فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتَحِبُّ ذَلِكَ اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً
 حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُو حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَ دَعَا
 حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَانْحَرُوا

وَ جَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ) [الممتحنة: 10]

حَتَّى بَلَغَ (بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ) فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ
 كَانَتَا لَهُ فِي الشَّرِكِ فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَالْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ
 ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ
 فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ فَقَالُوا: الْعَهْدُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ
 فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ فَتَزَلُّوا يَأْكُلُونَ مِنْ مَرِّ لَهُمْ
 فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فَلَانُ جَيِّدًا فَاسْتَلَّهُ الْآخَرُ
 فَقَالَ: أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ
 فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ فَأَمَكَّنَهُ مِنْهُ فَضْرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ وَفَرَ الْآخَرُ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُ: «لَقَدْ رَأَى هَذَا دُعْرًا»

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ
 فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهِ ذِمَّتَكَ قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ
 قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَيْلٌ أُمِّهِ مِسْعَرٌ حَرْبٌ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ»

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُّدُهُ إِلَيْهِمْ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سَيْفَ الْبَحْرِ
 فَقَالَ: وَيَنْفِلْتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلُ بْنُ سُهِيلٍ فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ
 بِأَبِي بَصِيرٍ حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّأْمِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا
 فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ لَمَّا أَرْسَلَ
 فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ

مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) [الفتح: 24] حَتَّى بَلَغَ (الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) [الفتح: 26]

وَ كَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَقْرَءُوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ وَ لَمْ يَقْرَءُوا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْبَيْتِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: مَعَرَّةُ الْعُرَّةِ: الْجَرْبُ تَزَيَّلُوا:- تَمَيَّزُوا
 وَ حَمَيْتُ الْقَوْمَ: مَنَعْتُهُمْ حِمَايَةً وَ أَحْمَيْتُ الْحِمَى:-

جَعَلْتُهُ حِمَى لَا يُدْخَلُ وَأَحْمَيْتُ الْحَدِيدَ وَأَحْمَيْتُ الرَّجُلَ: إِذَا أَغْضَبْتَهُ إِحْمَاءً

*يقول تعالى ممتنا على عباده بالعافية من شر الكفار و من قتالهم

فقال:- (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ) أى: أهل مكة

(عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ) قدرتم (عَلَيْهِمْ)

و صاروا تحت ولايتكم بلا عقد و لا عهد و هم نحو ثمانين رجلا انحدروا على المسلمين ليصيبوا منهم غرة فوجدوا المسلمين متبھين فأمسكوكهم فتركوكهم و لم يقتلوكهم رحمة من الله بالمؤمنين إذ لم يقتلوكهم

(وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) فيجازى كل عامل بعمله و يدبركم أيها المؤمنون بتدبيره الحسن.

*مسلم (1808) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ مُتَسَلِّحِينَ يُرِيدُونَ غِرَّةَ النَّبِيِّ ﷺ (الغفلة أي يريدون أن يصادفوا منه ومن أصحابه غفلة عن التأهب لهم ليتمكنوا من غدرهم والفتك بهم) وَأَصْحَابِهِ فَأَخَذَهُمْ سَلْمًا (ضبطوه بوجهين أحدهما سلما والثاني سلما قال الحميدي ومعناه الصلح قال القاضى في المشارق هكذا ضبطه الأكثرون قال والرواية الأولى أظهر والمعنى

أسرهم و السلم الأسر و جزم الخطابي بفتح اللام والسين قال والمراد به الاستسلام والإذعان) فَاسْتَحْيَاهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ:-

(وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) [الفتح: 24]

*كقوله تعالى (وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ) أي الانقياد وهو مصدر يقع على الواحد و الاثنين و الجمع

*قال ابن الأثير هذا هو الأشبه بالقصة فإنهم لم يأخذوا صلحا و إنما أخذوا قهرا و أسلموا أنفسهم عجزا قال و للقول الآخر الآخر وجه وهو أنه لما لم يجر معهم قتال بل عجزوا عن دفعهم والنجاة منهم فرضوا بالأسر

فكانهم قد صولحوا على ذلك 24

*ثم ذكر تعالى الأمور المهيجة على قتال المشركين فقال:-

(هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى كفرهم بالله ورسوله

(وَصَدُّكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)

و صدھم رسول الله و من معه من المؤمنين أن يأتوا للبيت الحرام زائرين معظمين له بالحج و العمرة

(وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا) محبوسا

(أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ)

هو محل ذبحه وهو مكة فمنعوه من الوصول إليه ظلما و عدوانا و كل هذه أمور موجبة و داعية إلى قتالهم و لكن ثم مانع

(وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ) و هو: وجود رجال و نساء من أهل الإيمان بين أظهر المشركين

(لَمْ تَعْلَمُوهُمْ) و ليسوا متميزين بمحلة أو مكان يمكن أن لا ينالهم أذى فلولا هؤلاء الرجال المؤمنون و النساء

المؤمنات الذين لا يعلمهم المسلمون

خشية (أَنْ تَطْفُوهُمْ) بجيشكم

(فَتُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ)

هى:- ما يدخل تحت قتالهم من نيلهم بالأذى و المكروه و فائدة أخروية -إثم و عيب و غرامة (بِغَيْرِ عِلْمٍ)

(لِيَدْخُلَ اللَّهُ) و هو: أنه ليدخل

(فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) فيمن عليهم بالإيمان بعد الكفر و بالهدى بعد الضلال فيمنعكم من قتالهم لهذا السبب.

(لَوْ تَزَيَّلُوا) زالوا من بين أظهرهم

(لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) بأن نبيح لكم قتالهم و نأذن فيه و ننصركم عليهم 25

يقول تعالى: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةً) أَنْفَةً (الْجَاهِلِيَّةَ)

حيث أنفوا من كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) و أنفوا من دخول رسول الله ﷺ و المؤمنين إليهم فى تلك السنة لئلا يقول الناس:- "دخلوا مكة قاهرين لقريش" و هذه الأمور و نحوها من أمور الجاهلية لم تنزل فى قلوبهم حتى أوجبت لهم ما أوجبت من كثير من المعاصي

(فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ)

فلم يحملهم الغضب على مقابلة المشركين بما قابلوهم به بل:-

1-صبروا لحكم الله

2-و التزموا الشروط التى فيها تعظيم حرمان الله و لو كانت ما كانت

3-و لم يبالوا بقول القائلين و لا لوم اللائمين.

(وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) و هى (لا إله إلا الله) و حقوقها ألزمهم القيام بها فالتزموها و قاموا بها

(وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا) من غيرهم

(و) كانوا (وَأَهْلَهَا) الذين استأهلوها لما يعلم الله عندهم و فى قلوبهم من الخير-أهلا للتقوى

و لهذا قال: (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)

*البخارى 2699- عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:-

اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فَأَبَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَدْعُوهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ حَتَّى قَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يُقِيمَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَلَمَّا كَتَبُوا الْكِتَابَ كَتَبُوا هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالُوا: لَا نُقَرُّ بِهَا فَلَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا مَنَعْنَاكَ لَكِنْ أَنْتَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «أَنَا رَسُولُ اللَّهِ وَ أَنَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ: «امْحُ رَسُولُ اللَّهِ»

قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَمْحُوكَ أَبَدًا فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكِتَابَ فَكَتَبَ (أى أمر عليا ﷺ فكتب كقولك ضرب الأمير أى أمر بالضرب) هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

لَا يَدْخُلُ مَكَّةَ سِلَاحٌ إِلَّا فِي الْقِرَابِ وَ أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْ أَهْلِهَا بِأَحَدٍ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَتَّبِعَهُ
وَ أَنْ لَا يَمْنَعَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ بِهَا فَلَمَّا دَخَلَهَا وَ مَضَى الْأَجَلَ أَتَوْا عَلِيًّا
فَقَالُوا: قُلْ لِصَاحِبِكَ اخْرُجْ عَنَّا فَقَدْ مَضَى الْأَجَلَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ

فَتَبِعَتْهُمْ ابْنَةُ حَمْزَةَ (أمامة و قيل عمارة وأما سلمى بنت عيسى) يَا عَمَّ يَا عَمَّ (نادته بذلك لأنه أخو أبيها من الرضاع)

فَتَنَاولَهَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فَأَخَذَ بِيَدِهَا وَ قَالَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ:-

دُونِكَ (خذيها) ابْنَةُ عَمِّكَ حَمَلَتْهَا فَأَخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ وَ زَيْدٌ وَ جَعْفَرٌ (اختلفوا فيمن تكون عنده) فَقَالَ عَلِيٌّ:-
أَنَا أَحَقُّ بِهَا وَ هِيَ ابْنَةُ عَمِّي وَ قَالَ جَعْفَرٌ: ابْنَةُ عَمِّي وَ خَالَتُهَا تَحْتِي (زوجتي) وَ قَالَ زَيْدٌ:-

ابْنَةُ أَخِي (في الإسلام لأنه ﷺ أخى بين زيد وحمزة f) فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِخَالَتِهَا وَ قَالَ: «الْخَالَةُ مِمَّنْزِلَةِ الْأُمِّ» وَ قَالَ لِعَلِيٍّ:-
«أَنْتَ مِنِّي وَ أَنَا مِنْكَ» (أي في النسب و المحبة و غيرها)

وَ قَالَ لَجَعْفَرٍ: «أَشَبَّهْتَ خَلْقِي وَ خُلُقِي» وَ قَالَ لَزَيْدٍ: «أَنْتَ أَخُونَا وَ مَوْلَانَا» (عتيقنا الذي نتولى أمره و يتولى أمرنا)

* البخاري 3182 - عن أَبُو وَائِلٍ قَالَ: كُنَّا بِصَفِّينَ فَقَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ فَقَالَ:-

أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَ لَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا

فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟

فَقَالَ: «بَلَى» فَقَالَ: أَلَيْسَ قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَ قَتَلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ:

فَعَلَامَ نُعْطَى الدِّنْيَةَ (الخصلة المذمومة و هي مظهر الضعف والاستكانة) فِي دِينِنَا أَنْزِجُ

وَ لَمَّا يَحْكُمُ اللَّهُ (لم يفصل بيننا وبينهم بالقتال) بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ؟

فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَ لَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا»

فَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَ لَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا

فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْفَتْحَ هُوَ؟

(أي هذا الصلح ولقد كان فتحا حقا فلقد تهيأ رسول الله ﷺ بهذا الصلح أن يرأس الملوك يدعوهم إلى الإسلام وأن يدعو القبائل التي كانت تخشى قريشا وتحسب لها حسابا فأصبحت تقبل على الإسلام دون أن ترقب خطرا ولا أدل على ذلك من أن المسلمين كانوا في صلح الحديبية أربعمئة وألفا بينما زاد عددهم حين أتوا لفتح مكة عن عشرة آلاف

فصدق محمد ابن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه أنه رسول الله ولن يضيعة الله جل وعلا) قَالَ: «نَعَمْ» 26

(لَقَدْ صَدَفَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرَّءْيَا بِالْحَقِّ) لا بد من وقوعها و صدقها و لا يقدر في ذلك تأخر تأويلها

* و ذلك أن رسول الله ﷺ رأى في المدينة رؤيا أخبر بها أصحابه أنهم سيدخلون مكة و يطوفون بالبيت

* فلما جرى يوم الحديبية ما جرى و رجعوا من غير دخول لمكة كثر في ذلك الكلام منهم حتى إنهم قالوا ذلك

لرسول الله ﷺ: ألم تخبرنا أنا سنأتي البيت و نطوف به؟ فقال: " أخبرتكم أنه العام؟ " قالوا: لا

قال: " فإنكم ستأتونه و تطوفون به "

تحقيق رؤيا النبي و بعض أوصافه و أصحابه 27-29

(لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ) ط

أي: في هذه الحال المقتضية لتعظيم هذا البيت الحرام و أدائكم للنسك و تكميله بالحلق و التقصير و عدم

الخوف

(فَعَلِمَ) من المصلحة و المنافع (مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَبَجَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ) (الدخول بتلك الصفة

(فَتْحًا قَرِيبًا) 27

* ولما كانت هذه الواقعة مما تشوشت بها قلوب بعض المؤمنين و خفيت عليهم حكمتها فبين تعالى حكمتها و منفعتها و هكذا سائر أحكامه الشرعية فإنها كلها هدى و رحمة. أخبر بحكم عام فقال:-

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى) الذى هو العلم النافع الذى يهdy من الضلالة و يبين طرق الخير و الشر.

(وَرَبِّهِ الْحَقُّ) أى: الدين الموصوف بالحق و هو العدل و الإحسان و الرحمة.

و هو كل عمل صالح مزك للقلوب مطهر للنفوس مرب للأخلاق محل للأقدار.

(لِيُظْهِرَهُ) ليُعْلِيه بما بعثه الله به

(عَلَى الَّذِينَ كُفِرُوا) بالحجة و البرهان و يكون داعيا لإخضاعهم بالسيف و السنان.

* البخارى 2731 فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا قَالَ: «بَلَى» قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُونَا عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ: «بَلَى» قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطَى الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَ لَسْتُ أَغْصِيهِ وَ هُوَ نَاصِرِي» قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ» قَالَ: قُلْتُ: لَأَقَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ»

* البخاري 1727- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ» (الذين يخلقون جميع شعرهم) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ» قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَالْمُقَصِّرِينَ» (الذين يقصون أطراف شعرهم)

(وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) 28



مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ^ع الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا^ط لِسِيَّمَاهُمْ^ط فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ^ع ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ^ع

وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْكُهُ فَتَذَرُوهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ

يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

49-سورة الحجرات-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ^ط عَوَانِقُوا^ع اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ

أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ

أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾

إِنَّ الَّذِينَ ينادونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ^ع وَالَّذِينَ مَعَهُ)

يخبر تعالى عن رسوله ﷺ وأصحابه من المهاجرين و الأنصار أنهم بأكمل الصفات و أجل الأحوال

و أنهم (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ)

جادون و مجتهدون في عداوتهم و ساعون في ذلك بغاية جهدهم فلم يروا منهم إلا الغلظة و الشدة
فلذلك ذل أعداؤهم لهم و انكسروا و قهرهم المسلمون

(رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ^ط)

متحابون متراحمون متعاطفون كالجسد الواحد يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه هذه معاملتهم مع الخلق

* و أما معاملتهم مع الخالق فإنك (تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا) وصفهم كثرة الصلاة التي أجل أركانها الركوع و السجود.

(يَبْتَغُونَ) بتلك العبادة

(يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا) هذا مقصودهم بلوغ رضا ربهم و الوصول إلى ثوابه.

(سِيَّمَاهُمْ) علامة طاعتهم لله ظاهرة (فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) و العبادة

* قد أثرت العبادة -من كثرتها وحسنها- في وجوههم حتى استنارت

* لما استنارت بالصلاة بواطنهم :- استنارت بالجلال ظواهرهم.

(ذَلِكَ) المذكور

(مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ) هذا وصفهم الذى وصفهم الله به مذكور بالتوراة هكذا.

(وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ) و أما مثلهم فى الإنجيل فإنهم موصوفون بوصف آخر و أنهم فى كمالهم و تعاونهم

(كَزَرَاعٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ) فراخه-سوقه و فروعه

(فَنَازَرَهُ) فوازرتة-اعانه-فراخه فى الشباب و الاستواء.

(فَاسْتَغْلَظَ) ذلك الزرع أى: قوى و غلظ

(فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ) جمع ساق

(يُعْجِبُ الزَّرَاعَ) زارعيه

*من كماله و استوائه و حسنه و اعتداله كذلك الصحابة رضي الله عنهم هم كالزرع فى نفعهم للخلق و احتياج الناس إليهم

*فقوة إيمانهم و أعمالهم بمنزلة [قوة عروق الزرع و سوقه]

و كون الصغير و المتأخر إسلامه قد لحق الكبير السابق و وازره و عاونه على ما هو عليه من إقامة دين الله و الدعوة إليه كالزرع الذى أخرج شطأه فآزره فاستغلظ و لهذا قال:-

(لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ)

حين يرون اجتماعهم و شدتهم على دينهم و حين يتصادمون هم و هم فى معارك النزال و معامع القتال.

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)

فالصحابة رضي الله عنهم الذين جمعوا بين الإيمان و العمل الصالح قد جمع الله لهم بين المغفرة التي من لوازمها:-

وقاية شرور الدنيا و الآخرة و الأجر العظيم فى الدنيا و الآخرة

*البخارى (3673) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-

«لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَ لَا نَصِيفَهُ»

(المراد أن القليل الذى أنفقه أحدهم أكثر ثوابا من الكثير الذى ينفقه غيرهم و سبب ذلك أن إنفاقهم كان مع الحاجة إليه لضيق حالهم ولأنه كان فى نصرتهم وحمايتهم غالبا ومثل إنفاقهم فى مزيد الفضل وكثير الأجر باقى أعمالهم من جهاد وغيره لأنهم الرعيل الأول الذى شق طريق الحق والهداية والخير فكان لهم فضل سبق الذى لا يداينه فضل إلى

جانب شرف صحبتهم رسول الله ﷺ وبذلهم نفوسهم وأرواحهم رخيصة دفاعا عن رسول الله ﷺ ونصره لدينه. و النصف هو النصف) 29

49-تفسير سورة الحجرات-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

أدب التعامل مع النبى ﷺ 5-1

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)

لا تقضوا أمرا دون أمر الله و رسوله من شرائع دينكم فتبتدعوا

*هذا متضمن للأدب مع الله تعالى و مع رسول الله ﷺ و التعظيم له و احترامه و إكرامه

* فأمر الله عبادہ المؤمنین بما یقتضیه الإیمان بالله و برسوله من:-

1-امثال أوامر الله و اجتناب نواهيه

2-و أن یكونوا ماشین خلف أوامر الله متبعین لسنة رسول الله ﷺ فی جمیع أمورهم

3-و أن لا یتقدموا بین یدی الله و رسوله

4-و لا یقولوا حتی یقول و لا یأمروا حتی یأمر

* فإن هذا حقيقة الأدب الواجب مع الله ورسوله وهو عنوان سعادة العبد و فلاحه و بفواته تفوته السعادة الأبدية و النعيم السرمدي

* و فی هذا النهی الشدید عن تقديم قول غیر الرسول ﷺ على قوله فإنه متى استبانت سنة رسول الله ﷺ وجب اتباعها و تقديمها على غيرها كائنا ما كان

(وَأَنْقُوا) خافوا (الله) في قولكم و فعلكم أن يخالف أمر الله ورسوله

ثم أمر الله بتقواه عمومًا و هي كما قال طلق بن حبيب:

1-أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله

2-و أن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله.

(إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لجميع الأصوات في جميع الأوقات في خفي المواضع و الجهات

(عَلِيمٌ) بالظواهر و البواطن و السوابق و اللواحق و الواجبات و المستحيلات و الممكنات

* و فی ذکر الاسمین الکریمین -بعد النهی عن التقدم بین یدی الله و رسوله و الأمر بتقواه-

حث على امثال تلك الأوامر الحسنة و الآداب المستحسنة و ترهيب عن عدم الامثال 1

ثم قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ)

و هذا أدب مع رسول الله ﷺ في خطابه أى: لا يرفع المخاطب له صوته معه فوق صوته

(وَلَا يَجْهَرُوا لَهُ) لا يجهر له (بِالْقَوْلِ) بل يغض الصوت و يخاطبه بأدب و لين و تعظيم و تكريم و إجلال و إعظام

(كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ)

و لا يكون الرسول كأحدهم بل يميزوه في خطابهم كما تميز عن غيره في وجوب حقه على الأمة و وجوب

الإيمان به و الحب الذي لا يتم الإيمان إلا به فإن في عدم القيام بذلك محذورًا

(أَنْ) خشية (تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ)

(وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) و هو لا يشعر-لا تُحسُّون بذلك

لكما أن الأدب معه من أسباب حصول الثواب و قبول الأعمال 2

*ثم مدح من غض صوته عند رسول الله ﷺ فقال:-

(إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى)

بأن الله امتحن قلوبهم للتقوى أى: ابتلاها واختبرها فظهرت نتيجة ذلك بأن صلحت قلوبهم للتقوى

(لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) ثم وعدهم المغفرة لذنوبهم المتضمنة لزوال الشر و المكروه

(وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) الذى لا يعلم وصفه إلا الله تعالى و فى الأجر العظيم وجود المحبوب

و فى هذا دليل على أن الله يمتحن القلوب بالأمر و النهى و المحن

*فمن لازم أمر الله و اتبع رضاه و سارع إلى ذلك و قدمه على هواه تمحض و تمحص للتقوى و صار قلبه

صالحاً لها و من لم يكن كذلك علم أنه لا يصلح للتقوى

*البخارى 7302 عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: كَادَ الْخَيْرَانِ أَنْ يَهْلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَ عُمَرُ لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفَدَّ بَنِي

تَمِيمٍ أَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ الْحَنْظَلِيُّ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ وَ أَشَارَ الْآخَرُ بِغَيْرِهِ

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ خِلَافِي فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ فَارْتَفَعَتْ أَصَوَاتُهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ

فَنَزَلَتْ: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ)** [الحجرات: 2] إِلَى قَوْلِهِ **(عَظِيمٌ)** [الحجرات: 3]

قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فَكَانَ عُمَرُ بَعْدُ وَ لَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ

إِذَا حَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ كَأَخِي السَّرَّارِ (مصاحب المشاورة في خفض الصوت) لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهَمَهُ

(من الاستفهام وهو طلب الفهم)

*البخارى 4846 - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ:- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ فَقَالَ رَجُلٌ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ مُنْكَسًا رَأْسَهُ فَقَالَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟

فَقَالَ: شَرٌّ كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ

فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا

فَقَالَ مُوسَى: فَرَجَعَ إِلَيْهِ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ بِبَشَارَةٍ عَظِيمَةٍ فَقَالَ: " اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ:

إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَ لَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ "

*البخارى-470 عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدٍ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَحَصَبَنِي (رمانى بالحصباء وهي الحجارة الصغيرة) رَجُلٌ

فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهِذَيْنِ فَجِئْتُهُ بِهِمَا

قَالَ: مَنْ أَنْتُمْ - أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ - قَالَا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ قَالَ:-

لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا (جلدتكما حتى أوجعتكما) تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

*البخارى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ (مما يرضى الله تعالى) لَا يُلْقَى لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ

وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقَى لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» **3**

(إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ) بصوت مرتفع

(أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) ليس لهم من العقل ما يحملهم على حسن الأدب مع رسول الله ﷺ و توقيره.

-نزلت هذه الآيات الكريمة في أناس من الأعراب الذين وصفهم الله تعالى بالجفاء

*و أنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله قدموا وافدين على رسول الله ﷺ فوجدوه فى بيته
و حجرات نسائه

فلم يصبروا و يتأدبوا حتى يخرج بل نادوه: يا محمد يا محمد أى: اخرج إلينا فذمهم الله بعدم العقل حيث
لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله و احترامه

*كما أن من العقل و علامته استعمال الأدب 4

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْلِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَدِمِينَ ﴿٦﴾
 وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ
 وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾
 فَضَلَا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا
 فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ
 فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ
 وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ
 بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

* فأدب العبد عنوان عقله و أن الله يريد به الخير و لهذا قال:-

(وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) لما صدر عن عباده من الذنوب و الإخلال بالآداب
 (رَحِيمٌ) بهم حيث لم يعاجلهم بذنوبهم بالعقوبات و المثلات.

و هذا أيضًا من الآداب التي على أولي الألباب التأدب بها و استعمالها 5

(يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ)

و هو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يشتبهوا في خبره و لا يأخذوه مجردًا فإن في ذلك خطرًا كبيرًا و وقوعًا في
 الإثم فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل حكم بموجب ذلك و مقتضاه
 فحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر ما يكون سببًا للندامة

التثبت من الأخبار و حسن المعاملة 6-13

(فَتَبَيَّنُوا) بل الواجب عند خبر الفاسق التثبت و التبين

فإن دلت الدلائل و القرائن على صدقه عمل به و صدق

* و إن دلت على كذبه كذب ولم يعمل به ففيه دليل على أن خبر الصادق مقبول و خبر الكاذب مردود

و خبر الفاسق متوقف فيه كما ذكرنا

و لهذا كان السلف يقبلون روايات كثير من الخوارج المعروفين بالصدق ولو كانوا فاسقًا.

(أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) 6

(وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ) ليكن لديكم معلوماً أن رسول الله ﷺ بين أظهركم

و هو الرسول الكريم البار الراشد الذي يريد بكم الخير و ينصح لكم

و تريدون لأنفسكم من الشر و المصرة ما لا يوافقكم الرسول عليه

(لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ) و قد تريدون لأنفسكم من الشر و المصرة ما لا يوافقكم الرسول عليه

* و لو يطيعكم في كثير من الأمر لشق عليكم و أعنتكم و لكن الرسول يرشدكم كما قال الله:

(وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ) [المؤمنون: 71]

(وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ)

بما أودع الله في قلوبكم من محبة الحق و إثارة و بما ينصب على الحق من الشواهد

و الأدلة الدالة على صحته و قبول القلوب و الفطر له و بما يفعله تعالى بكم من توفيقه للإجابة إليه

(وَكَرِهَ) يُكْرِهَ (إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ) الذنوب الكبار

(وَالْعِصْيَانَ) هي ما دون ذلك من الذنوب بما أودع في قلوبكم من كراهة الشر

و عدم إرادة فعله و بما نصبه من الأدلة والشواهد على فساد و عدم قبول الفطر له وبما يجعله الله من الكراهة

في القلوب له

(أُولَئِكَ) الذين زين الله الإيمان في قلوبهم و حبه إليهم و كره إليهم الكفر و الفسوق و العصيان

(هُمُ الرَّاشِدُونَ) الذين صلحت علومهم و أعمالهم و استقاموا على الدين القويم و الصراط المستقيم.

و ضدهم الغاوون الذين حب إليهم الكفر و الفسوق و العصيانو كره إليهم الإيمان و الذنب ذنبهم

فإنهم لما فسقوا طبع الله على قلوبهم و لما [رَاغُوا أَرَاغَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ]

و لما لم يؤمنوا بالحق لما جاءهم أول مرة قلب الله أفئدتهم 7

(فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً) أى: ذلك الخير الذي حصل لهم هو بفضل الله عليهم و إحسانه لا بحولهم و قوتهم.

(وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ)

عليم بمن يشكر النعمة فيوفقه لها ممن لا يشكرها و لا تليق به فيضع فضله حيث تقتضيه حكمته 8

(وَلَا تُلَاقُوا الْقَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا وَمِنْهُمْ صِغَارُ الَّذِينَ آمَنُوا)

هذا متضمن لنهى المؤمنين عن أن يبغى بعضهم على بعض و يقاتل بعضهم بعضاً و أنه إذا اقتتل طائفتان من

المؤمنين:-

(فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا)

فإن على غيرهم من المؤمنين أن يتلافوا هذا الشر الكبير بالإصلاح بينهم و التوسط بذلك على أكمل وجه يقع به الصلح و يسلكوا الطريق الموصلة إلى ذلك فإن صلحتا فيها و نعمت

(فَإِنْ بَغَتْ) اعتدت (إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى) إحدى الطائفتين و أبت الإجابة إلى ذلك

(فَقَبِلُوا أَلَّتِي تَبَغَى حَقَّ قَبُولٍ) ترجع

(إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) ما حد الله و رسوله من فعل الخير و ترك الشر الذى من أعظمه الاقتتال

*البخارى 2444 - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ» (فَنَعَهُ مِنَ الظُّلْمِ)
*البخارى 2691 - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ:-

لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي (فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ) «فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَ رَكِبَ حِمَارًا فَاَنْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ وَ هِيَ أَرْضٌ سَبِيحَةٌ» (أَرْضٌ تَعْلُوها مَلُوحَةٌ وَلَا تَكَادُ تَنْبِتُ إِلَّا بَعْضُ الشَّجَرِ) فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ:-
إِلَيْكَ عَنِّي (تَنَحَّ وَابْتَعد) وَ اللَّهُ لَقَدْ آذَانِي نَتْنٌ (رائحته الكريهة) حِمَارِكَ
فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ (قِيلَ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) مِنْهُمْ:-

وَ اللَّهُ لَحِمَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَشَتَمَهُ
فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ (أَغْصَانُ النَّخْلِ الْمَجْرَدَةِ مِنْ وَرَقِهِ) وَ الْأَيْدِي وَ النَّعَالِ
فَبَلَّغْنَا أَنَّهَا أُنْزِلَتْ: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) [الحجرات: 9]

(فَإِنْ قَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ) هذا أمر بالصلح و بالعدل فى الصلح

*فإن الصلح قد يوجد و لكن لا يكون بالعدل بل بالظلم و الحيف على أحد الخصمين فهذا ليس هو الصلح
المأمور به

فيجب أن لا يراعى أحدهما لقراءة أو وطن أو غير ذلك من المقاصد و الأغراض التى توجب العدول عن العدل

(وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) العادلين فى حكمهم بين الناس و فى جميع الولايات التى تولوها

حتى إنه قد يدخل فى ذلك عدل الرجل فى أهله و عياله فى أدائه حقوقهم

*و فى الحديث الصحيح: مسند أحمد 6492

"الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينُ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَ أَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا (كانت لهم عليه ولاية)"

*و بهذا استدل البخارى وغيره على انه لا يخرج من الايمان بالمعصية و ان عظمت لا كما يقوله الخوارج
و من تابعهم من المعتزلة و نحوهم

*البخارى 3746 عَنْ الْحَسَنِ سَمِعَ أَبَا بَكْرَةَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَ الْحَسَنُ إِلَى جَنْبِهِ يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ مَرَّةً
وَ إِلَيْهِ مَرَّةً وَ يَقُولُ: «ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»

*فكان كان قال اصلح الله به بين اهل الشام و العراق بعد الحروب الطويلة 9

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)

هذا عقد عقده الله بين المؤمنين أنه إذا وجد من أى شخص كان فى مشرق الأرض و مغربها:-
الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر:-

فإنه أخ للمؤمنين أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم و يكرهون له ما يكرهون لأنفسهم
و لهذا قال النبي ﷺ أمراً بحقوق الأخوة الإيمانية:-

*البخارى 6064 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا
وَ كُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا

*البخارى 481 - عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَ شَبَّكَ أَصَابِعُهُ
* و لقد أمر الله ورسوله بالقيام بحقوق المؤمنين بعضهم لبعض و بما به يحصل التآلف و التوادد و التواصل
بينهم كل هذا تأييد لحقوق بعضهم على بعض

*فمن ذلك إذا وقع الاقتتال بينهم الموجب لفرق القلوب و تباعضها و تدابرها

(فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) فليصلح المؤمنون بين إخوانهم و ليسعوا فيما به يزول شنائهم.

(وَاتَّقُوا اللَّهَ) ثم أمر بالتقوى عمومًا و رتب على القيام بحقوق المؤمنين و بتقوى الله الرحمة فقال:-

(لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ) و إذا حصلت الرحمة حصل خير الدنيا و الآخرة

و دل ذلك على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين من أعظم حواجب الرحمة.

و فى هاتين الآيتين من الفوائد غير ما تقدم:

1- أن الاقتتال بين المؤمنين مناف للأخوة الإيمانية و لهذا كان من أكبر الكبائر

2- و أن الإيمان و الأخوة الإيمانية لا تزول مع وجود القتال كغيره من الذنوب الكبار التى دون الشرك
و على ذلك مذهب أهل السنة والجماعة

3- و على وجوب الإصلاح بين المؤمنين بالعدل

4- و على وجوب قتال البغاة حتى يرجعوا إلى أمر الله و على أنهم لو رجعوا لغير أمر الله بأن رجعوا على وجه
لا يجوز الإقرار عليه والتزامه أنه لا يجوز ذلك و أن أموالهم معصومة

لأن الله أباح دمائهم وقت استمرارهم على بغيهم خاصة دون أموالهم 10

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) و هذا أيضاً من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض

أَنْ (لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا فِسَاءٌ مِنْ فِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُمْ)

بكل كلام و قول و فعل دال على تحقير الأخ المسلم فإن ذلك حرام لا يجوز
و هو دال على إعجاب الساخر بنفسه و عسى أن يكون المسخور به خيراً من الساخر كما هو الغالب و الواقع
فإن السخرية لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق متحل بكل خلق ذميم
و لهذا قال النبي ﷺ -بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم-
*مسلم 91- إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ (دفعه وإنكاره ترفعا و تجبرا) وَ غَمَطُ النَّاسِ «
(احتقارهم يقال في الفعل منه غمطه يغمطه و غمطه يغمطه)

ثم قال :- (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) أى: لا يعب بعضكم على بعض

و اللمز: بالقول

و الهمز: بالفعل

و كلاهما منهي عنه حرام متوعد عليه بالنار. كما قال تعالى: (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ) الآية
* و سمي الأخ المؤمن نفساً لأخيه لأن المؤمنين ينبغي أن يكون هكذا حالهم كالجسد الواحد
* و لأنه إذا همز غيره أوجب للغير أن يهمزه فيكون هو المتسبب لذلك.

(وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ)

لا يعير أحدكم أخاه و يلقيه بلقب ذم يكره أن يطلق عليه و هذا هو التنابز
* و أما الألقاب غير المذمومة فلا تدخل في هذا.

(يَتَسَّ الْأَتَمُّ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ)

بئسما تبدلتم عن الإيمان و العمل بشرائعه و ما تقتضيه بالإعراض عن أوامره و نواهيه باسم الفسوق و العصيان
الذي هو التنابز بالألقاب.

بئس الصفة و الاسم الفسوق و هو السخرية و اللمز و التنابز بالألقاب بعد ما دخلتم في الإسلام وعقلتموه

(وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

فهذا هو الواجب على العبد أن يتوب إلى الله تعالى و يخرج من حق أخيه المسلم باستحلاله و الاستغفار
و المدح له مقابلة على ذمه. (وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

فالناس قسمان:

1- ظالم لنفسه غير تائب

2- و تائب مفلح ... و لا ثم قسم ثالث غيرهما 11

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا
 أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ تَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾
 يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ
 إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ
 وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾
 قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾
 يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بِلِ اللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾
 إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

(يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ) نهى الله تعالى عن كثير من الظن السوء بالمؤمنين

ف— (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) وذلك كالظن الخالي من الحقيقة و القرينة

و كظن السوء الذى يقترب به كثير من الأقوال و الأفعال المحرمة فإن بقاء ظن السوء بالقلب لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك بل لا يزال به حتى يقول ما لا ينبغي و يفعل ما لا ينبغي
 * و فى ذلك أيضًا إساءة الظن بالمسلم و بغضه و عداوته المأمور بخلاف ذلك منه.

(وَلَا تَحَسَّسُوا) لا تفتشوا عن عورات المسلمين و لا تتبعوها و اتركوا المسلم على حاله

و استعملوا التغافل عن أحواله التى إذا فتشت ظهر منها ما لا ينبغي.

* البخارى (6066) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا» (الاستماع الى حديث القوم و هم كارهون او يتسمع علي ابوابهم)

و لَا تَجَسَّسُوا (التجسس: البحث عن الشئ) و لَا تَنَاجَشُوا (من النجش وهو أن يزيد في ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها ليوهم غيره بنفاستها)

و لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا (الضرَم) و كُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»

* أبى داود 4880 - عَنْ أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَ لَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَتَّبِعُوا الْمُسْلِمِينَ وَ لَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَ مَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»

(وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا) الغيبة كما قال النبى ﷺ: ذكرك أخاك بما يكره و لو كان فيه

* مسلم (2589) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟»

قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «ذِكْرَكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ:-
«إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ»

(يقال بهته قلت فيه البهتان وهو الباطل والغيبة ذكر الإنسان في غيبته بما يكره وأصل البهت أن يقال له الباطل في وجهه وهما حرامان لكن تباح الغيبة لغرض شرعى)

*** ذكر العلماء أن الغيبة تباح في ستة مواضع نظمها الجوهري في قوله :**

لست غيبة جواز و خذها ...منظمة كأمثال الجواهر

تظلم و استعن و استفت حذر...و عرّف اذكرن فسق المجاهر

***الغيبة محرمة شرعا و لكن هناك ستة مواضع أو ستة أسباب تباح فيها الغيبة لغرض صحيح شرعى وهى:-**

1- **التظلم** فيجوز للمظلوم أن يتظلم للقاضى فيقول : ظلمنى فلان بكذا و كذا

2- **الاستعانة على تغيير المنكر** و رد العاصى الى الصواب

كأن يقول: فلان يعمل يعمل كذا فاجزوه عنه أو نحو ذلك فان لم يكن مقصده إزالة المنكر كان حراما

3- **الاستفتاء** فيقول للمفتى : ظلمنى أبى أو أخى أو فلان فهل له ذلك ؟ و ما طريقي فى تحصيل حقى منه ؟

فهذا جائز للحاجة و لكن الافضل أن يقول : ماتقول فى رجل أمره كذا ؟

فانه يحصل به الغرض من غير تعيين و مع ذلك فالتعيين جائز

4- **تحذير المسلمين من الشر و نصيحتهم و ذلك من وجوه منه:-**

أ - جرح المجروحين من الرواة و الشهود

ب - المشاورة فى مصاهرة إنسان أو مشاركته فيجب ذكر المساوى التى فيه بنية النصيحة

5- **أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته** كالمجاهر بشرب الخمر

فيجوز ذكره بما يجاهر به و يحرم ذكره بغيره من العيوب إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكر

6- **التعريف**: فإذا كان الانسان معروفا بلقب كالأعمش أو الأعرج و غيرهم جاز تعريفهم بذلك

و يحرم إطلاقه بنية التنقص أو الاستهزاء و لو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى

*أبي داود :-4875 - عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا
قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»
قَالَتْ: وَ حَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا فَقَالَ: «مَا أَحَبُّ أُنَى حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنْ لِي كَذَا وَكَذَا»

*ثم ذكر مثلاً منفراً عن الغيبة فقال:- **(أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ)**

*شبه أكل لحمه ميتاً المكروه للنفوس غاية الكراهة باغتيابه

*فكما أنكم تكرهون أكل لحمه و خصوصاً إذا كان ميتاً فاقد الروح فكذلك فلتكرهوا غيبته و أكل لحمه حياً.

(وَأَنْقَرُوا) خافوا (الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه

(إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ) و التواب الذى يأذن بتوبة عبده فيوفقه لها **ثم** يتوب عليه بقبول توبته

(رَجِمَ) بعباده حيث دعاهم إلى ما ينفعهم و قبل منهم التوبة

* وفي هذه الآية دليل على التحذير الشديد من الغيبة و أن الغيبة من الكبائر لأن الله شبهها بأكل لحم الميت و ذلك من الكبائر.

*الغيبة محرمة بالاجماع لا يستثنى من ذلك الا ما رجحت مصلحته كما في الجرح و التعديل و النصيحة كقوله لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر:-

البخارى 6131 - أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّه اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ:-

«اُذْنُوا لَهُ فَيُسْأَلُ ابْنُ الْعَشِيرَةِ - أَوْ يُسْأَلُ أَخُو الْعَشِيرَةِ -»

فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتَ مَا قُلْتَ ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي الْقَوْلِ؟ فَقَالَ: «أَيُّ عَائِشَةَ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلُهُ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ - أَوْ وَدَّعَهُ النَّاسُ - اتَّقَاءَ فُحْشِهِ»

*ايضا مسلم (1480) عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ وَ هُوَ غَائِبٌ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلُهُ بِشَعِيرٍ فَسَخِطَتْهُ (ما رضى به لكونه شعيرا أو لكونه قليلا) فَقَالَ:-

وَاللَّهِ مَا لَكَ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ فَجَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ:

«لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ» فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَ (تستوفى عدتها وعدة المرأة قيل أيام أقرانها وقيل تربصها المدة الواجبة عليها) فِي بَيْتِ أُمِّ شَرِيكِ

ثُمَّ قَالَ: «تِلْكَ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي اعْتَدَى عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكَ

فَإِذَا حَلَلْتَ فَادْنِينِي» (فاعلميني) قَالَتْ: فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَ أَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ

(فيه تأويلان مشهوران أحدهما أنه كثير الأسفار والثاني أنه كثير الضرب للنساء وهذا أصح والعائق هو ما بين العنق إلى المنكب)

وَأَمَّا مَعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ (فقير في الغاية) لَا مَالَ لَهُ

انكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ» فَكَرِهَتْهُ ثُمَّ قَالَ: «انكِحِي أُسَامَةَ» فَنَكَحَتْهُ فَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا وَ اغْتَبَطَتْ بِهِ

(في بعض النسخ و اغتبطت به ولم تقع لفظة به في أكثر النسخ قال أهل اللغة الغبطة أن يتمنى مثل حال المغبوط من غير إرادة زوالها عنه وليس هو بحسد تقول منه غبطته بما

نال أغبطه بكسر الباء غبطا وغبطة فاغبط هو كمنعته فامتنع وجبسته فاحتبس)

و ثبت في حجة الوداع في البخارى 67 -

ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَعْدَ عَلَى بَعِيرِهِ وَ أَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ - أَوْ بِزِمَامِهِ - قَالَ:-

«أَيُّ يَوْمٍ هَذَا» فَسَكَنَّا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ» قُلْنَا: بَلَى

قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا» فَسَكَنَّا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ فَقَالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ»

قُلْنَا: بَلَى قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَ أَمْوَالَكُمْ وَ أَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ

هَذَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ»

*مسلم (2564) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

«لَا تَحَاسَدُوا وَ لَا تَنَاجَشُوا وَ لَا تَبَاغُضُوا وَ لَا تَدَابَرُوا وَ لَا يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَ كُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا

الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَ لَا يَخْذُلُهُ

(قال العلماء الخذل ترك الإعانة والنصر ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعى)

وَ لَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا»

(معناه أن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى وإنما تحصل بها يقين في القلب من عظمة الله وخشيته ومراقبته) وَ يُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

«بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَ مَالُهُ وَ عَرْضُهُ»

*أبي داود -4878 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
لَمَّا عَرَجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ:
مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ "
*قَالَ الْجُمْهُورُ مِنَ الْعُلَمَاءِ:- طَرِيقُ الْمُغْتَابِ لِلنَّاسِ فِي تَوْبَتِهِ أَنْ يُقْلَعَ عَنْ ذَلِكَ وَيَعْرِمَ عَلَى آلَا يَعُودَ.
وَ هَلْ يُشْتَرِطُ النَّدَمُ عَلَى مَا فَاتَ؟

فِيهِ نِزَاعٌ وَأَنْ يَتَحَلَّلَ مِنَ الَّذِي اغْتَابَهُ.
وَقَالَ آخَرُونَ: لَا يُشْتَرِطُ أَنْ يَتَحَلَّلَهُ فَإِنَّهُ إِذَا أَعْلَمَهُ بِذَلِكَ رُبَّمَا تَأَذَّى أَشَدَّ مِمَّا إِذَا لَمْ يَعْلَمْ بِمَا كَانَ مِنْهُ
فَطَرِيقُهُ إِذَا أَنْ يُنَبِّئَ عَلَيْهِ مَا فِيهِ فِي الْمَجَالِسِ الَّتِي كَانَ يَذْمُهُ فِيهَا وَأَنْ يَرُدَّ عَنْهُ الْغِيَّةَ بِحَسْبِهِ وَطَاقَتِهِ
فَتَكُونُ تِلْكَ بِتِلْكَ 12

(يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى)

يخبر تعالى أنه خلق بني آدم من أصل واحد وجنس واحد و كلهم من ذكر و أنثى و يرجعون جميعهم إلى آدم
و حواء و لكن الله تعالى بث منهما رجالا كثيرا و نساء و فرقهم

(وَجَعَلْنَاكُمْ) وجعلهم (شُعُوبًا وَقَبَائِلَ) صغارا و كبارا

(لِتَعَارَفُوا) و ذلك لأجل أن يتعارفوا

فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر و التعاون و التوارث
و القيام بحقوق الأقارب

و لكن الله جعلهم شعوبا و قبائل لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها مما يتوقف على التعارف و لحوق الأنساب

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ)

و لكن الكرم بالتقوى فأكرمهم عند الله أتقاهم و هو أكثرهم طاعة و انكفافا عن المعاصي لا أكثرهم قرابة
و قوما و لا أشرفهم نسبا

(إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)

يعلم من يقوم منهم بتقوى الله ظاهرا و باطنا ممن يقوم بذلك ظاهرا لا باطنا فيجازى كلا بما يستحق.
و في هذه الآية دليل على أن معرفة الأنساب مطلوبة مشروعة لأن الله جعلهم شعوبا و قبائل لأجل ذلك.

*البخارى 3353 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ:- مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟

قَالَ: «أَتَقَاهُمْ» فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ

قَالَ: «فَيُؤَسِّفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنُ خَلِيلِ اللَّهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ

قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونَ؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا»

*مسلم 2564 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صَوْرِكُمْ وَ أَمْوَالِكُمْ وَ لَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَ أَعْمَالِكُمْ» 13

(قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا^ط)

يخبر تعالى عن مقالة الأعراب الذين دخلوا في الإسلام في عهد رسول الله ﷺ دخولاً من غير بصيرة
و لا قيام بما يجب و يقتضيه الإيمان أنهم ادعوا مع هذا و قالوا: آمنا

أى: إيماناً كاملاً مستوفياً لجميع أموره هذا موجب هذا الكلام فأمر الله رسوله أن يرد عليهم فقال:-

(قُلْ لَمْ تَزِرْ^ط تَوَظُّعًا) لا تَدْعُوا لأنفسكم مقام الإيمان ظاهراً و باطناً كاملاً.

(وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) دخلنا في الإسلام و اقتصروا على ذلك. (و) السبب في ذلك

أنه (وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ^ط)

و إنما آمنتم خوفاً أو رجاء أو نحو ذلك مما هو السبب في إيمانكم فلذلك لم تدخل بشاشة الإيمان في
قلوبكم

و في قوله: (وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ^ط)

وقت هذا الكلام الذي صدر منكم فكان فيه إشارة إلى أحوالهم بعد ذلك فإن كثيراً منهم من الله عليهم بالإيمان
الحقيقى و الجهاد في سبيل الله

(وَإِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ^ط) بفعل خير أو ترك شر

(لَا يَلْتَكُمُ) ينقصكم

(مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً^ط) من مثقال ذرة بل يوفيكُم إياها أكمل ما تكون لا تفقدون منها صغيراً و لا كبيراً

(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ^ط) لمن تاب إليه و أناب (رَجِيمٌ^ط) به حيث قبل توبته 14

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ) على الحقيقة

(الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ^ط ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) في إيمانهم

(وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^ط)

أى: من جمعوا بين الإيمان و الجهاد في سبيله-

*فإن من جاهد الكفار دل ذلك على الإيمان التام فى القلب لأن من جاهد غيره على الإسلام و القيام بشرائعه
فجهاده لنفسه على ذلك من باب أولى و أخرى

-و لأن من لم يقو على الجهاد فإن ذلك دليل على ضعف إيمانه و شرط تعالى فى الإيمان عدم الريب

و هو الشك لأن الإيمان النافع هو الجزم اليقيني بما أمر الله بالإيمان به الذى لا يعتريه شك بوجه من الوجوه.

و قوله: (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم الجميلة

فإن الصدق دعوى كبيرة في كل شيء يدعى يحتاج صاحبه إلى حجة و برهان
 * وأعظم ذلك دعوى الإيمان الذي هو مدار السعادة و الفوز الأبدى و الفلاح السرمدى
 * فمن ادعاه و قام بواجباته و لوازمه فهو الصادق المؤمن حقاً
 -و من لم يكن كذلك علم أنه ليس بصادق في دعواه و ليس لدعواه فائدة فإن الإيمان في القلب لا يطلع عليه
 إلا الله تعالى.

*فإثباته و نفيه من باب تعليم الله بما في القلب و هذا سوء أدب و ظن بالله 15

و لهذا قال:- (**قُلْ**) يأياها النبي-لهؤلاء الأعراب: (**أَتَعْلَمُونَ**) (**أَتُخَبِّرُونَ**) (**اللَّهُ بِدِينِكُمْ**) و بما في ضمائرهم
 * و هذا شامل للأشياء كلها التي من جملتها ما في القلوب من الإيمان و الكفران و البر و الفجور

(**وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**)

فإنه تعالى يعلم ذلك كله ويجازى عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

هذه حالة من أحوال من ادعى لنفسه الإيمان و ليس به

*فإنه إما أن يكون ذلك تعليمًا لله و قد علم أنه عالم بكل شيء

* و إما أن يكون قصدهم بهذا الكلام المنة على رسوله و أنهم قد بذلوا له و تبرعوا بما ليس من مصالحهم
 بل هو من حظوظه الدنيوية و هذا تجمل بما لا يجمل و فخر بما لا ينبغي لهم أن يفتخروا على رسوله به
 فإن المنة لله تعالى عليهم فكما أنه تعالى يمن عليهم بالخلق و الرزق و النعم الظاهرة و الباطنة

*فمنته عليهم بهدايتهم إلى الإسلام و منته عليهم بالإيمان أعظم من كل شيء 16

و لهذا قال تعالى:-

(**يَمُنُّونَ**) يَمُنُّ هؤلاء الأعراب (**عَلَيْكَ**) أيها النبي (**أَنْ أَسْلَمُوا**) بإسلامهم و متابعتهم و نصرتهم لك

(**قُلْ**) لهم (**لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ**) دخولكم في الإسلام فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم

(**بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ**) و لله المنة عليكم فيه (**أَنْ هَدَيْتَكُمْ**) وفقكم (**لِلْإِيمَانِ**) به و برسوله

(**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) في إيمانكم.

*كما قال النبي في البخارى 4330 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ:

لَمَّا أَقَاءَ (أعطاه الغنائم وأصل الفين الرجوع فكان الأموال في الأصل للمسلمين فغلب عليها الكفار ثم رجعت إليهم) اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ
 قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ لَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا (حزنوا) إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ
 (لم ينلهم ما نال الناس من العطاء) فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ:-

«يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِى وَ كُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بى وَ عَالَةً (جمع عائل وهو الفقير)
 فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بى»

كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ (من المَن وهو الفضل) قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ»
 قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ قَالَ: لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذًا وَكَذًا (كناية عما يقال)

أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ
 لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَ لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَ شِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِي الْأَنْصَارِ وَ شِعْبَهَا
 الْأَنْصَارُ شِعَارٌ (الثوب الذي يلي الجلد من البدن) وَ النَّاسُ دِثَارٌ (الثوب الذي يكون فوق الشعار) إِنْ كُنْتُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً
 (ينفرد بالمال المشترك ونحوه دونكم ويفضل عليكم بذلك غيركم) فَاصْبِرُوا حَتَّى تُلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ (الذي هو لى فى الجنة)

(إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^{٥٩})

الأمر الخفية فيهما التي تخفى على الخلق كالذى فى لجج البحار و مهامه القفار و ما جنه الليل أو واره النهار
 يعلم قطرات الأمطار و حبات الرمال و مكنونات الصدور و خبايا الأمور.

(وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [الأنعام: 59]

(وَاللَّهُ بِصِعْرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ)

يحصى عليكم أعمالكم و يوفىكم إياها و يجازيكم عليها بما تقتضيه رحمته الواسعة و حكمته البالغة **18**

50-سورة ق-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾
 إِذْ ذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ ﴿٤﴾
 بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا
 وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾
 تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾
 وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾
 كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُيُوعٍ ﴿١٤﴾
 كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٥﴾ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

*مسلم (891) أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سَأَلَ أَبَا وَاقِدٍ اللَّيْثِيَّ: مَا كَانَ يَقْرَأُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْأَصْحَى وَالْفِطْرِ؟

فَقَالَ: «كَانَ يَقْرَأُ فِيهِمَا ب (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) وَ(اقتربت الساعة وأنشأ القيوم)

*مسلم (8736) عَنْ بِنْتِ لِحَارِثَةَ بِنِ الثُّعْمَانِ قَالَتْ:

مَا حَفِظْتُ قِ إِلَّا مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ بِهَا كُلَّ جُمُعَةٍ. قَالَتْ: وَكَانَ تَنْوَرُنَا وَتَنْوَرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَوَاحِدًا
 (إشارة إلى حفظها ومعرفتها بأحوال النبي ﷺ وقربها من منزله)

(ق^٥) (و) يقسم تعالى (وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) أى: وسيع المعاني عظيمها كثير الوجوه كثير البركات جزيل المبرات.
 و المجد: سعة الأوصاف وعظمتها

* وأحق كلام يوصف بهذا هذا القرآن الذي قد احتوى على علوم الأولين و الآخرين الذي حوى :-

من الفصاحة أكملها و من الألفاظ أجزلها و من المعاني أعمها و أحسنها

و هذا موجب له :-

كمال اتباعه و سرعة الانقياد له و شكر الله على المنة به. و لكن أكثر الناس لا يقدر نعم الله قدرها

كقوله (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [فصلت: 42] ¹

* و لهذا قال تعالى: (بَلْ عَجِبُوا) أى: المكذبون للرسول ﷺ (أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ)

ينذرهم ما يضرهم و يأمرهم بما ينفعهم و هو من جنسهم يمكنهم التلقى عنه و معرفة أحواله و صدقه.

فتعجبوا من أمر لا ينبغي لهم التعجب منه بل يتعجب من عقل من تعجب منه.

(فَقَالَ الْكَافِرُونَ) الذين حملهم كفرهم و تكذيبهم لا نقص بذكائهم و آرائهم

انكار المشركين للبعث و أدلة ثبوته 11-1

(هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ) أى: مستغرب و هم فى هذا الاستغراب بين أمرين:-

1- إما صادقون فى استغرابهم و تعجبهم فهذا يدل على غاية جهلهم و ضعف عقولهم بمنزلة المجنون الذى يستغرب كلام العاقل و بمنزلة الجبان الذى يتعجب من لقاء الفارس للفرسان و بمنزلة البخيل الذى يستغرب سخاء أهل السخاء

* فأى ضرر يلحق من تعجب من هذه حاله؟ و هل تعجبه إلا دليل على زيادة و ظلمه و جهله؟

2- و إما أن يكونوا متعجبين على وجه يعلمون خطأهم فيه فهذا من أعظم الظلم و أشنع.

* كقوله (أَكَّانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ

الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ) [يونس: 2] 2

* ثم ذكر وجه تعجبهم فقال:- (أَلَمْ نَكُنْ نَرُوبًا)

فقاسوا قدرة من هو على كل شىء قدير الكامل من كل وجه بقدرة العبد الفقير العاجز من جميع الوجوه و قاسوا الجاهل الذى لا علم له بمن هو بكل شىء عليم

* كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى ما كنا عليه؟ (ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) الوقوع 3

(قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ) الذى يعلم ما تنقص الأرض من أجسادهم مدة مقامهم فى برزخهم (وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ)

و قد أحصى فى كتابه الذى هو عنده محفوظ عن التغيير و التبديل كل ما يجرى عليهم فى حياتهم و مماتهم

* و هذا الاستدلال بكمال علمه و سعته التى لا يحيط بها إلا هو على قدرته على إحياء الموتى 4

(بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ) كلامهم الذى صدر منهم إنما هو عناد و تكذيب للحق الذى هو أعلى أنواع الصدق

(لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ) مختلط مشتبه لا يثبتون على شىء و لا يستقر لهم قرار

كقوله (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) [الذاريات 9] يصرف عنه من صُرف عن الايمان به لإعراضه عن أدلة الله و براهينه اليقينية

فلم يوفق إلى الخير. - فتارة يقولون عنك: إنك ساحر و تارة مجنون و تارة شاعر

* و كذلك جعلوا القرآن عضيئ:- أقساما:- (منهم من يقول انه سحر أو يقولون كهانة... ليصدوا الناس عنه)

* كل قال فيه ما اقتضاه رأيه الفاسد و هكذا كل من كذب بالحق فإنه فى أمر مختلط لا يدرى له وجهة

و لا قرار فترى أموره متناقضة مؤتفكة

* كما أن من اتبع الحق و صدق به قد استقام أمره و اعتدل سبيله و صدق فعله قيله 5

* لما ذكر تعالى حالة المكذبين و ما ذمهم به دعاهم إلى النظر فى آياته الأفقية كى يعتبروا و يستدلوا بها

على ما جعلت أدلة عليه فقال:-

(أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ) لا يحتاج ذلك النظر إلى كلفة و شد رحل بل هو فى غاية السهولة

فينظرون (كَيْفَ بَنَيْنَاهَا) قبة مستوية الأرجاء ثابتة البناء

(وَزَيَّنَّاهَا) مزينة بالنجوم الخنس و الجوار الكنس التى ضربت من الأفق إلى الأفق فى غاية الحسن و الملاحه

(وَمَا هَا مِنْ فُرُوجٍ) لا ترى فيها عيبًا و لا فروجًا و لا خللا و لا إخلالا.

*كقوله (الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ) [الملك: 3]

(ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) [الملك: 4] كليل متعب أن يرى عيبا أو نقصا

*قد جعلها الله سقفا لأهل الأرض و أودع فيها من مصالحهم الضرورية ما أودع 6

(و) إلى (وَالْأَرْضَ) كيف

(مَدَدْنَاهَا) و وسعناها حتى أمكن كل حيوان السكون فيها و الاستقرار و الاستعداد لجميع مصالحه

(وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) و أرساها بالجمال لتستقر من التزلزل و التموج

(وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) أى: من كل صنف من أصناف النبات

(بِهَيْبٍ)

حسن نضر التى تسر ناظرها و تعجب مبصرها و تفر عين راقمها لأكل بنى آدم و أكل بهائمهم و منافعهم 7

(تَبْصِرَةً) يتبصر بها من عمى الجهل

(وَذِكْرَى)

يتذكر بها ما ينفع فى الدين و الدنيا و يتذكر بها ما أخبر الله به و أخبرت به رسله و ليس ذلك لكل أحد

بل (لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) خاضع خائف وجل رجاء الى الله-مقبل عليه بالحب والخوف والرجاء و إجابة داعيه

* و أما المكذب و المعرض فما تغنى الآيات و النذر عن قوم لا يؤمنون 8

(وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا) و كذلك ما يخرج الله بالمطر

(فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ) و خص من تلك المنافع بالذكر الجنات المشتملة على الفواكه اللذيذة من العنب و الرمان

و الأترج و التفاح وغير ذلك من أصناف الفواكه

(و) التى تحتها من (وَحَبِّ الْحَصِيدِ) أى: من الزرع المحصود من بر وشعير و ذرة و أرز و دخن و غيره

فإن فى النظر فى هذه الأشياء (تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) 9

(وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) الطوال التى يطول نفعها و ترتفع إلى السماء حتى تبلغ مبلغًا لا يبلغه كثير من الأشجار

*حوالى 30 متر

(لَهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ) (متراكب بعضه فوق بعض 10

(رِزْقًا لِلْعِبَادِ) ما هو رزق للعباد قوتًا و آدمًا و فاكهة يأكلون منه و يدخرون هم ومواشيهم

و حاصل هذا:-

- 1- أن ما فيها من الخلق الباهر و الشدة و القوة دليل على كمال قدرة الله تعالى
 - 2- و ما فيها من الحسن و الإتقان و بديع الصنعة و بديع الخلقة دليل على أن الله أحكم الحاكمين و أنه بكل شيء عليم
 - 3- وما فيها من المنافع و المصالح للعباد دليل على رحمة الله التي وسعت كل شيء وجوده الذى عم كل حي
 - 4- و ما فيها من عظم الخلقة و بديع النظام دليل على أن الله تعالى هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة و لا ولدًا و لم يكن له كفوًا أحد وأنه الذى لا تنبغى العبادة و الذل و الحب إلا له تعالى
 - 5- و ما فيها من إحياء الأرض بعد موتها دليل على إحياء الله الموتى ليجازيهم بأعمالهم
- و لهذا قال: (وَأَحْيَيْنَا بِهِ) بهذا الماء الذى أنزلناه من السماء

(بَلَدَةً مَّيْتَةً) قد أجدبت و قحطت فلا زرع فيها و لا نبات كما أحيينا بذلك الماء الأرض الميتة

(كَذَلِكَ الْخُرُوجُ) نخرجكم يوم القيامة أحياء بعد الموت.

كما قال الله (لَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [غافر: 57] 11

* و لما ذكرهم بهذه الآيات السماوية والأرضية خوفهم أخذات الأمم و ألا يستمروا على ما هم عليه من التكذيب فيصيبهم ما أصاب إخوانهم من المكذبين فقال:-

تذكير للأمم السابقة المنكرة للبعث 15-12

(كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ)

أى: كذب الذين من قبلهم من الأمم رسلهم الكرام و أنبياءهم العظام ك "نوح" كذبه قومه

(وَأَصْحَابُ الرَّيِّ) البئر هى بئر كانوا مقيمين حولها يعبدون الأصنام

(وَنُمُودُ) كذبوا صالحًا 12

(وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ) و عاد كذبوا "هودًا "

(وَالْأَخُونُ لُوطٌ) كذبوا "لوطًا " 13

(وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) الشجر الكثير الملتف و هم الذين كذبوا "شعبيًا "

(وَقَوْمُ ثَبَجٍ) الحميرى

و قوم تبع و تبع كل ملك ملك اليمن في الزمان السابق قبل الإسلام
فقوم تبع كذبوا الرسول الذي أرسله الله إليهم و لم يخبرنا الله من هو ذلك الرسول
* و أى تبع من التبابعة لأنه -و الله أعلم- كان مشهوراً عند العرب لكونهم من العرب العرباء الذين لا تخفى
ماجراتهم على العرب خصوصاً مثل هذه الحادثة العظيمة.

(كُلُّ) مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ وَ هَؤُلَاءِ الْقُرُونِ

(كَذَّبَ الرُّسُلَ) أى كَذَّبَ رَسُوْلَهُ وَ مَنْ كَذَّبَ رَسُوْلًا فَكَأَنَّمَا كَذَّبَ جَمِيعَ الرُّسُلِ كَقَوْلِهِ: (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ)
[الشُّعْرَاءُ: 105] وَ إِنَّمَا جَاءَهُمْ رَسُوْلٌ وَاحِدٌ فَهُمْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَوْ جَاءَهُمْ جَمِيعُ الرُّسُلِ كَذَّبُوهُمْ

(فَحَقَّ) عَلَيْهِمُ الْـ (وَعِيدُ) الذى توعدهم الله به على كفرهم

* فهؤلاء كلهم كذبوا الرسل الذين أرسلهم الله إليهم فحق عليهم وعيد الله و عقوبته
و لستم أيها المكذبون لمحمد ﷺ خيراً منهم و لا رسلهم أكرم على الله من رسولكم
فاحذروا جرمهم لئلا يصيبكم ما أصابهم.

* ثم استدل تعالى بالخلق الأول -و هو المنشأ الأول - على الخلق الآخر و هو النشأة الآخرة 14

* فكما أنه الذى أوجدهم بعد العدم كذلك يعيدهم بعد موتهم و صيرورتهم إلى الرفات و الرمم فقال:-

(أَفَعَيَّنَا) أى: أفعجزنا و ضعفت قدرتنا

(بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ)

عن ابتداء الخلق الأول الذى خلقناه و لم يكن شيئاً فنعجز عن إعادتهم خلقاً جديداً بعد فنائهم؟

* ليس الأمر كذلك فلم نعجز و نعى عن ذلك

* و ليسوا فى شك من ذلك

(بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ) شك (مَنْ خَلَقَ جَدِيدَ) هذا الذى شكوا فيه و التبس عليهم أمره مع أنه لا محل للبس فيه

لأن الإعادة أهون من الابتداء كما قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) .

* كقوله (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الروم: 27]

* البخارى (4974) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ وَ شَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ

فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ: فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي وَ لَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ

وَ أَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ: فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَ أَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ " 15

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ^ط نَفْسَهُ^ط وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾
 إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾
 وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾
 وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ
 ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عَتِيدٍ ﴿٢٣﴾ أَلَقِيََا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ﴿٢٥﴾
 الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ
 وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُونَا لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾
 مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾
 وَأَرْسَلْنَا الْجَنَّةَ لِّلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ
 وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ^ط نَفْسَهُ^ط)

خلق الانسان و علمه و احواله 16-18

يخبر تعالى أنه المتفرد بخلق جنس الإنسان ذكورهم و إناثهم و أنه يعلم أحواله و ما يسره و يوسوس في صدره

(وَنَحْنُ) و أن الله (أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)

أقرب إليه من حبل الوريد الذي هو أقرب شيء إلى الإنسان

و هو العرق المكتشف لشجرة النحر

* أي الملائكة (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ) [الواقعة: 85]

كما قال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: 9]

* و هذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه المطلع على ضميره و باطنه القريب منه في جميع أحواله

فيستحي منه أن يراه حيث نهاه أو يفقده حيث أمره و كذلك ينبغي له أن يجعل الملائكة الكرام الكاتبين منه

على بال فيجلهم و يوقرهم و يحذر أن يفعل أو يقول ما يكتب عنه مما لا يرضى رب العالمين

* البخارى (6664) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْفَعُهُ قَالَ:

«إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأَمْتِي عَمَّا وَسَّوَسْتُ أَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَكَلَّمْ» 16



◀ توبة فتاة استمعت إلى كلام الله

كنتُ متهاديةً في المنكرات والعصيان، ولكم حاولتُ والدتي نُصحي وتذكيري، لدرجة أنها كانت تبكي أمامي؛ ولكن بدون فائدة!

ظَلَلْتُ أسير في طريق مظلم كالح، أتخبط فيه بين الأوهام والخيالات، وعندما يُسْدِلُ الليلُ ستاره الأسود؛ أفكر فيما سأعمله غداً، وعندما يشرق النهار أبلج واضحاً؛ أحملُ همَّ الليل وكيف سأقضيه، ليس لي همٌّ إلا الدنيا، وإضاعة الأوقات بدون فائدة، وتمر الساعات وأنا ما بين أغنية ومجلة، وفيلم، وهكذا ألبستني الغفلة من ثيابها ألواناً شتى.

و ذات يوم مللتُ من ذلك الروتين اليومي، ومن نصيح والدتي وتذكيرها لي بوالدي المتوفى رحمه الله وحرصه عليّ، ودخلتُ غرفتي التي تضج بالأشرطة والمجلات والصور، وفتحتُ نافذة غرفتي فإذا بصوت إمام المسجد يهز مسامعي وهو يقرأ من سورة ق، فما أشد وقع تلك الكلمات على نفسي الغافلة، وما أعظمها وهي تصف حال الإنسان عند الموت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْهُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ١٦﴾ إِذْ يَنْفَخُ الْسُفُفُ عَنْ السُّفُفِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ١٧ ... إلى قوله: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ٢٠﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ٢١.

إنها الحياة الحقيقية، فما أقسى الموت! وما أشد غفلتي عنه! وهذا القبر الذي طوته الغفلة وغيبته النسيان في حياتي! وهذه الصلاة التي كانت مجرد عادة، إن كنتُ متفرغةً أديتها وإلا تركتها كغيرها من الفرائض! أما كتابُ الله فلا تمسُّه يداي إلا في المدرسة إن حضرتُ حصته، وهكذا؛ دق جرس الإنذار في نفسي مدوياً، وانهاالت الأسئلة على من كل جانب!

يا إلهي! ماذا أعددت لسؤالك؟ ماذا أعددت للقبر وضمته، وللموت وسكرته؟ لا شيء أبداً؛ لا رصيدَ لديّ أنجوه به، ولا زاد أتزود به سوى عشرات الأغاني الماجنة التي أحفظها!

يا إلهي؛ ماذا سأفعل؟ راح من عمري الكثير: ذنوب بالليل وآثام بالنهار! لا بد من الرجوع إلى الله والاستعداد ليوم تشيب فيه الولدان، وتضع كل ذات حمل حملها، لا بد من الاستيقاظ والعمل بجد وإخلاص، لعل الله أن يعفو عن الكثير، ويقبل القليل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

و لهذا قال: **(إِذْ يَنْفَخُ الْسُفُفُ عَنْ السُّفُفِ)** أي الملكين- يتلقيان عن العبد أعماله كلها واحد

(عَنِ الْيَمِينِ) يكتب الحسنات **(و)** الآخر **(وَعَنِ الشِّمَالِ)** يكتب السيئات و كل منهما

(قَعِيدٌ) بذلك متهدى لعمله الذي أعد له ملازم له - مترصد **17**

(مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ) خير أو شر **(إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)** أي: مراقب له حاضر لحاله

كما قال تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ 10 كِرَامًا كَاتِبِينَ 11 يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) الانفطار 18

◀ لساني سر شقائي!

كنت امرأة متدينة؛ لكنني كنت كثيرة الفضول والأسئلة، فالمهم أن أسأل، لا للمعرفة ثم العمل ولكن من باب الفضول، وكنت أتحدث عن الأشياء لمجرد الحديث فقط، وكثيرا ما كنت أمرُّ بلا تفكير أو تدبُّر على قوله تعالى:

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١) ق: ١٨

وعلى الآية الكريمة: ﴿ يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ (٢)

المائدة: ١٠١

لا أدري أغفلة تلك أم هي حسن ظن بنفسي عياذا بالله!

وبعد زواجي كنت أسأل عن أشياء، وأتحدث عن أمور لا ينبغي ذكرها حتى مع الزوج، كنت أفعل ذلك - فقط - لأبين له أنني قد سمعت عن حيل بعض النساء على أزواجهن، ولم أدرك نفسي إلا بعد أن أدخلت الشك في قلب زوجي من جهتي، وتطور الأمر حتى صار يتهمني ويحتج على صحة اتهاماته بما قلته له، وبما سألته عنه!

واستمر تطور الأمور حتى ضاق بي الحال من ازدياد معاملته السيئة لي، حتى خرجت من بيتي إلى بيت أهلي، وهناك وصلنا للطلاق.

بعد الطلاق كنت أتهمه بأنه مجرم وظالم إذ فعل بي ما فعل بلا ذنب سبق مني، لكن عندما مررت بتفسير الآيات السابقات، واستشرت واحدة من أهل الخبرة في حل القضايا الأسرية، وسمعت مني ما صنعت؛ أشارت إلى لساني وقالت: هذا هو سر شقائك!

◀ التجارة مع الله

كنت دائما إذا هممت بمعصية أو غيبة لأحد أتذكر قول الله: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (٣)؛ فأحجم عن ذلك.

وكان سبب محافظتي على العبادات الثلاث: قراءة القرآن الكريم، والصلاة، والإنفاق؛ هي قول الله تعالى في سورة فاطر: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ

فاطر: ٢٩-٣٠

وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ٣٠ ﴾ (١)

فما أجل أن نعمل بالعمل موقنين أننا سنأخذ عليه أجرنا من الله وزيادة؛ لأنه تعالى شكور يقبل القليل من الصالحات، ويجزي عليها الكثير الحسنات.

(وَجَاءَتْ) هذا الغافل المكذب بآيات الله

(سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ) الذي لا مرد له ولا مناص

*البخارى -6510 أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ تَقُولُ:-

حقيقة الموت و البعث و حوار الكافر مع قرينه يوم القيامة 19-30

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكُوعٌ - أَوْ عُلبَةٌ فِيهَا مَاءٌ يَشْكُ عَمْرٌ - فَجَعَلَ يَدْخُلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَ مَالَتْ يَدُهُ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «الْعُلبَةُ مِنَ الْخَشَبِ وَالرَّكُوعَةُ مِنَ الْأَدَمِ»

(ذَلِكَ مَا) **معنى:-**

1- الذي

2-أو ما **نافية** أى لك ما كنت تقدر على الفرار منه

(كُنْتُ مِنْهُ نَحِيدٌ) تتأخر و تنكص عنه **19**

◀ ابن عباس

قال ابن أبي مليكة: صحبت ابن عباس من المدينة إلى مكة، وكان يصلي ركعتين فإذا نزل قام شطر الليل يترتل القرآن حرفاً حرفاً، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب، ويقرأ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتُ مِنْهُ نَحِيدٌ﴾^(١)، ورؤي

ق: ١٩

عن شعيب بن درهم قال: كان في هذا المكان - وأوماً إلى مجرى الدموع من خديه يعني خدي ابن عباس - مثل الشراك البالي من البكاء^(٢) سير أعلام النبلاء

(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ)

أى: اليوم الذى يلحق الظالمين ما أوعدهم الله به من العقاب و المؤمنين ما وعدهم به من الثواب.

*الترمذي - 3243 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

«كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ التَّقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ وَ حَنَى جَبْهَتَهُ وَ أَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ»

قَالَ الْمُسْلِمُونَ: فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبِّنَا» **20**

(وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ) يسوقها إلى موقف القيامة-ملك يسوقها إلى المحشر- فلا يمكنها أن تتأخر عنه

(وَسَائِدٌ) يشهد عليها بأعمالها خيرا و شرها -و ملك يشهد عليه بأعماله

و هذا يدل على اعتناء الله بالعباد و حفظه لأعمالهم و مجازاته لهم بالعدل

*فهذا الأمر مما يجب أن يجعله العبد منه على بال و لكن أكثر الناس غافلون **21**

و لهذا يقال للمعرض المكذب يوم القيامة (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا) توبيخاً و لوماً و تعنيفاً

أى: لقد كنت مكذبا بهذا تاركا للعمل له فالآن

(فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) الذى غطى قلبك فكشرك نومك و استمر إعراضك

(فَصَرَكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) قوى-ينظر ما يزعجه و يروعه من أنواع العذاب و النكال.

(أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [مريم: 38]

(وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ) [السجدة: 12]

(حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ 99 لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [المؤمنون: 99 100]

أو هذا خطاب من الله للعبد فإنه في الدنيا في غفلة عما خلق له و لكنه يوم القيامة ينتبه و يزول عنه وسنه
* و لكنه في وقت لا يمكنه أن يتدارك الفارط و لا يستدرك الفائت

* و هذا كله تخويف من الله للعباد و ترهيب بذكر ما يكون على المكذبين في ذلك اليوم العظيم 22

(وَقَالَ قَرِينُهُ) أى: قرين هذا المكذب المعرض من الملائكة الذين وكلهم الله على حفظه وحفظ أعماله
فيحضره يوم القيامة و يحضر أعماله و يقول:-

(هَذَا مَا لَدَيَّ عِتِيدٌ) أى قد أحضرت ما جعلت عليه

محفوظ معد حاضر* من حفظه و حفظ عمله فيجازى بعمله.

و يقال لمن استحق النار: (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ)

كثير الكفر و العناد لآيات الله المكثرة من المعاصي المجترى على المحارم و المآثم 24

(مَنَاعَ الْخَيْرِ) يمنع الخير الذى عنده الذى أعظمه الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله منافع ماله و بدنه

(مُعْتَدٍ) على عباد الله و على حدوده

(مُرِيْبٍ) أى: شاك فى وعد الله و وعيده فلا إيمان و لا إحسان

و لكن وصفه الكفر و العدوان و الشك و الريب و الشح و اتخاذ الآلهة من دون الرحمن 25

و لهذا قال:-

(الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) عبد معه غيره ممن لا يملك لنفسه نفعاً و لا ضرراً لا موتاً و لا حياة و لا نشوراً

(فَأَلْقِيَاهُ) أيها الملكان القرينان

(فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ) الذى هو معظمها و أشدها و أشنعها 26

(قَالَ قَرِينُهُ) الشيطان متبرئاً منه حاملاً عليه إثمه

(رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ) لأنى لم يكن لى عليه سلطان و لا حجة و لا برهان

(وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) و لكن كان فى الضلال البعيد فهو الذى ضل و أبعد عن الحق باختياره

كما قال فى الآية الأخرى:

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ) [إبراهيم: 22] 27

* قال الله تعالى مجيباً لاختصاصهم: (قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ) أى: لا فائدة في اختصاصكم عندي

(و) الحال أنى (وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ)

أى: جاءتكم رسلى بالآيات البينات و الحجج الواضحات و البراهين الساطعات فقامت عليكم حجتى و انقطعت حجتكم و قدمتم على بما أسلفتم من الأعمال التى وجب جزاؤها 28

(مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ) أى: لا يمكن أن يخلف ما قاله الله و أخبر به لأنه لا أصدق من الله قيلا و لا أصدق حديثاً.

(وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ) بل أجزيهم بما عملوا من خير و شر فلا يزداد في سيئاتهم و لا ينقص من حسناتهم 29

* يقول تعالى مخوفاً لعباده: (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ) و ذلك من كثرة ما ألقى فيها

(وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ)

أى: لا تزال تطلب الزيادة من المجرمين العاصين غضباً لربها و غيظاً على الكافرين. و قد وعدها الله ملاءها

* البخارى 485 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ

تَحَابَّتِ الْجَنَّةُ وَ النَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَ الْمُتَجَبِّرِينَ

وَ قَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضَعَفَاءُ النَّاسِ وَ سَقَطُهُمْ

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحِمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي

وَ قَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أَعَذُّ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَلُؤَهَا

فَأَمَّا النَّارُ: فَلَا تَمْتَلِئِي حَتَّى يَضَعَ رِجْلُهُ فَيَقُولُ: قَطُّ قَطُّ فَهَذَا كَ تَمْتَلِئِي وَ يَزَوِي بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ

وَ لَا يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا وَ أَمَّا الْجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا "

كما قال تعالى (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) [هود: 119] حتى يضع رب العزة عليها قدمه الكريمة المنزهة

عن التشبيه فيزوى بعضها على بعض و تقول: -قط قط قد اكتفيت و امتلأت 30 ثواب المؤمنين و صفاتهم 31-35

(وَأَزْلَفَتْ) قربت (الْجَنَّةُ) بحيث تشاهد و ينظر ما فيها من النعيم المقيم و لحيرة و السرور و إنما أزلفت و قربت

(لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ) لأجل المتقين لربهم التاركين للشرك صغيره و كبيره الممثلين لأوامر ربهم المنقادين له 31

و يقال لهم على وجه التهئة:-

(هَذَا مَا تُوعَدُونَ) أى: هذه الجنة و ما فيها مما تشتهيهِ الأنفس و تلذ الأعين هى التى وعد الله

(لِكُلِّ أَوَّابٍ) رجاء إلى الله فى جميع الأوقات بذكره و حبه و الاستعانة به و دعائه و خوفه و رجائه.

(حَفِيفِظٍ)

يحافظ على ما أمر الله به بامتناله على وجه الإخلاص و الإكمال له على أكمل الوجوه حفيظ لحدوده **32**

(مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ) أي: خافه على وجهه :-

1-المعرفة بربه

2-و الرجاء لرحمته

* و لازم على خشية الله في حال غيبه أي: مغيبه عن أعين الناس و هذه هي الخشية الحقيقية و أما خشيته في حال نظر الناس و حضورهم فقد تكون رياء و سمعة فلا تدل على الخشية و إنما الخشية النافعة خشية الله في الغيب و الشهادة و يحتمل أن المراد بخشية الله بالغيب كالمراد بالإيمان بالغيب و أن هذا مقابل للشهادة حيث يكون الإيمان و الخشية ضروريًا لا اختياريًا حيث يعاين العذاب و تأتي آيات الله و هذا هو الظاهر .

*البخارى-6806 عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: وَ رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِي خَلَاءٍ فَقَاصَتْ عَيْنَاهُ

(وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) وصفه الإنابة إلى مولاه و انجذاب دواعيه إلى مرضاه **33**

و يقال لهؤلاء الأتقياء الأبرار:-

(أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ) دخولا مقرونًا بالسلامة من الآفات و الشرور مأمونًا فيه جميع مكاره الأمور

فلا انقطاع لنعيمهم و لا كدر و لا تنغيص

(ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ) الذي لا زوال له و لا موت و لا شيء من المكدرات **34**

(لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا) كل ما تعلق به مشيئتهم فهو حاصل فيها

(وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) ثواب يمدهم الرحمن الرحيم مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر

و أعظم ذلك و أجله و أفضله:- النظر إلى وجه الله الكريم و التمتع بسماع كلامه و التمتع بقربه

نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم.

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [يونس: 26]

*ابن ماجه 187-الالباني عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) [يونس: 26]

وَ قَالَ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَ أَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَى مُنَادٌ:-

يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يَنْجِزَكُمُوهُ فَيَقُولُونَ: وَ مَا هُوَ؟

أَلَمْ يَنْقُلِ اللَّهُ مَوَازِينَنَا وَ بَيَّضَ وَجُوهَنَا وَ يَدْخُلْنَا الْجَنَّةَ وَ يُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟

قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ

فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ - يَعْنِي إِلَيْهِ - وَ لَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ " **35**

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾
 وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾
 فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾
 وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾
 يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾
 يَوْمَ تَشَقُّو^ط الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ^ط
 وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾
 سورة الذاريات-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم
 وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسَّمَاتِ آمْرًا ﴿٤﴾
 إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الْدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

يقول تعالى -مخوفًا للمشركين المكذبين للرسول:-

تهديد لمنكري البعث و توجيهات للنبي ﷺ 36-45

{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ} أمما كثيرة

(هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ) من هؤلاء

(بَطْشًا) قوة و آثارًا في الأرض.

{فَنَقَّبُوا} فطوفوا (فِي الْبِلَادِ) و سلكوا كل طريق طلبا للهرب من الهلاك

هل من مهرب من عذاب الله حين جاءهم؟

*أى: بنوا الحصون المنيعه والمنازل الرفيعة و غرسوا الأشجار و أجروا الأنهار و زرعوا و عمروا و دمروا

* فلما كذبوا رسل الله و جحدوا آيات الله ← أخذهم الله بالعقاب الأليم و العذاب الشديد

* سَارُوا فِيهَا يَبْتَغُونَ الْأَرْزَاقَ وَ الْمَتَاجِرَ وَ الْمَكَاسِبَ أَكْثَرَ مِمَّا طُفْتُمْ أَنْتُمْ فِيهَا

* وَ يُقَالُ لِمَنْ طَوَّفَ فِي الْبِلَادِ: نَقَّبَ فِيهَا.

قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:- لَقَدْ نَقَّبْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى ... رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

فـ {هَلْ مِنْ مَحِيصٍ}

مفر لهم من عذاب الله حين نزل بهم و لا منقذ فلم تغن عنهم قوتهم و لا أموالهم و لا أولادهم 36

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ} عظيم حتى ذكى ذكى

*فهذا إذا ورد عليه شيء من آيات الله تذكر بها و انتفع فارتفع

{أَوَأَلْقَى السَّمْعَ} وكذلك من ألقى سمعه إلى آيات الله و استمعها استماعاً يسترشد به و قلبه

{وَهُوَ شَهِيدٌ} حاضر فهذا له أيضاً ذكرى و موعظة و شفاء و هدى.

*و أما المعرض الذي لم يلق سمعه إلى الآيات فهذا لا تفيده شيئاً لأنه لا قبول عنده و لا تقتضى حكمة الله

هداية من هذا وصفه و نعتة 37

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ}

و هذا إخبار منه تعالى عن قدرته العظيمة و مشيئته النافذة التى أوجد بها أعظم المخلوقات

*كقوله {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّطَ الْمَوْتَى بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

[الأحقاف: 33]

{وَمَا يَبْنِيهِمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} أولها يوم الأحد و آخرها يوم الجمعة

{وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} تعب-نصب-إعياء

*فالذى أوجدها -على كبرها و عظمتها- قادر على إحياء الموتى من باب أولى و أخرى 38

{فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ} من الدم لك و التكذيب بما جئت به

{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} و اشتغل عنهم و اله بطاعة ربك و تسبيحه

{قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ} أول النهار

{وَقَبْلَ الْغُرُوبِ} آخره النهار-و فى أوقات الليل و أدبار الصلوات.

فإن ذكر الله تعالى مسل للنفس مؤنس لها مهون للصبر.

*وَكَانَتِ الصَّلَاةُ الْمَفْرُوضَةُ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ :

ثَبَتَيْنِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي وَقْتِ الْفَجْرِ وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ فِي وَقْتِ الْعَصْرِ

وَ قِيَامِ اللَّيْلِ كَانَ وَاجِبًا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَ عَلَى أُمَّتِهِ حَوْلًا ثُمَّ نُسِخَ فِي حَقِّ الْأُمَّةِ وَجُوبُهُ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نُسِخَ اللَّهُ ذَلِكَ كُلَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ وَ لَكِنْ مِنْهُنَّ صَلَاةُ الصُّبْحِ وَ الْعَصْرِ

فَهُمَا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ.

*البخارى-573 عن جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ:-

كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ:

«أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تُضَاهُونَ (لا يشبهه عليكم و لا ترتابون)- فِي رُؤْيَيْهِ

فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»

ثُمَّ قَالَ: «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِهَا» 39

{وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُورَ} قيل هو التسبيح بعد الصلاة و يؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين

*البخارى-843 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ (جمع دثر وهو المال الكثير) مِنَ الْأَمْوَالِ بِالدرَجَاتِ الْعُلَا (المراتب العليا في الجنة) وَ النَّعِيمِ (ما ينعم به) الْمُقِيمِ (الدائم) يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَ يَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَ لَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ (أموال زائدة عن حاجتهم) يَحْجُونَ بِهَا وَ يَعْتَمِرُونَ وَ يُجَاهِدُونَ وَ يَتَصَدَّقُونَ قَالَ:-
«أَلَا أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَ لَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ وَ كُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ (من أنتم بينهم) إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تَسْبِّحُونَ وَ تَحْمَدُونَ وَ تُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَ ثَلَاثِينَ»
فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَ ثَلَاثِينَ وَ نَحْمَدُ ثَلَاثًا وَ ثَلَاثِينَ وَ نُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَ ثَلَاثِينَ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: تَقُولُ:

«سُبْحَانَ اللَّهِ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ اللَّهُ أَكْبَرُ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمْ كَلِمَةٌ (من كل حملة منهم) ثَلَاثًا وَ ثَلَاثِينَ» 40

{وَأَسْمِعْ} بقلبك (يَوْمَ يَنَادِ الْمُنَادِ) هو إسرائيل عليه السلام حين ينفخ في الصور

{مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ} من الخلق 41

{يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ} كل الخلائق يسمعون تلك الصيحة المزعجة المهولة

{بِالْحَقِّ} الذى لا شك فيه و لا امتراء.

{ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ} من القبور الذى انفرد به القادر على كل شىء 42

و لهذا قال: **{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ 43 يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ}** عن الأموات

{سِرَاعًا} يسرعون لإجابة الداعى لهم إلى موقف القيامة

*مسلم -2278 أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-
«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ أَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَ أَوَّلُ شَافِعٍ وَ أَوَّلُ مُشَفِّعٍ»

{ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ} هين على الله لا تعب فيه و لا كلفة

*{وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} [القمر: 50] {مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [القمان: 28] 44

{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ} لك مما يحزنك من الأذى

* و إذا كنا أعلم بذلك فقد علمت كيف اعتناؤنا بك و تيسيرنا لأمرورك و نصرنا لك على أعدائك

فليفرح قلبك و لنطمئن نفسك و لتعلم أننا أرحم بك و أرف من نفسك

* فلم يبق لك إلا انتظار وعد الله و التأسى بأولى العزم من رسل الله

{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ} 97 فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ 98 وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ [الحجر]

{وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ} مسلط عليهم {إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}

و لهذا قال: **{فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ}**

و التذكير:- هو تذكير ما تقرر في العقول و الفطر من:-

1-محبة الخير و إيثاره و فعله

2-و من بغض الشر و مجانبته

* و إنما يتذكر بالتذكير من يخاف وعيد الله

* و أما من لم يخف الوعيد و لم يؤمن به

فهذا فائدة تذكيره إقامة الحجة عليه لئلا يقول: **{مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ}** [المائدة: 19]

* كقوله **{وَإِنْ مَا تُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَقَّيْكَ فَإِنَّا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ}** [الرعد: 40]

{لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصِيطٍ} [الغاشية: 22]

51-تفسير سورة الذاريات-و هي مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

*عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام:- أَنَّهُ صَعِدَ مِنْبَرَ الْكُوفَةِ فَقَالَ: لَا تَسْأَلُونِي عَنْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا عَنْ سُنَّةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِذَلِكَ. فَقَامَ إِلَيْهِ ابْنُ الْكُوَاءِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **{وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا}** ؟ قَالَ: الرِّيحُ قَالَ: **{فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا}** ؟ قَالَ: السَّحَابُ. قَالَ: **{فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا}** ؟ قَالَ: السُّفُنُ. قَالَ: **{فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا}** ؟ قَالَ: الْمَلَائِكَةُ (الطبري في تفسيره)

*هذا قسم من الله الصادق في قلبه بهذه المخلوقات العظيمة التي جعل الله فيها من المصالح و المنافع ما جعل على أن وعده صدق

*و أن الدين الذي هو يوم الجزاء والمحاسبة على الأعمال لواقع لا محالة ما له من دافع

*فإذا أخبر به الصادق العظيم و أقسم عليه و أقام الأدلة و البراهين عليه فلم يكذب به المكذبون و يعرض عن العمل له العاملون.

اثبات البعث و عاقبة منكره 14-1

{وَالذَّرِيَّتِ} هي الرياح التي تذر في هبوبها-أقسم الله تعالى بالرياح المثيرات للتراب

{ذُرُوءًا} بليتها و لطفها و قوتها و إزعاجها 1

{فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا} السحاب تحمل الماء الكثير الذي ينفع الله به البلاد و العباد-الوقر:الحمل الثقيل 2

{فَالْجَارِيَّتِ يُسْرًا}

*النجوم التي تجرى على وجه اليسر و السهولة

1-فتزين بها السماوات 2-و يهتدى بها في ظلمات البر و البحر 3-و ينتفع بالاعتبار بها.

*الجاريات:السحب

*السفن التي تجرى في البحار جرياً ذا يسر و سهولة **3**

{فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا} الملائكة التي تقسم الأمر و تدبره بإذن الله

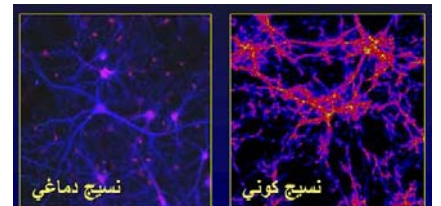
*فكل منهم قد جعله الله على تدبير أمر من أمور الدنيا و أمور الآخرة لا يتعدى ما قدر له و ما حد و رسم

و لا ينقص منه **4**

(إِنَّمَا) إن الذي (تُوعَدُونَ) به -أيها الناس- من البعث و الحساب (لَصَادِقٌ) لكائن حق يقين **5**

(وَأَنَّ الدِّينَ) و إن الحساب و الثواب على الأعمال (لَوَفِّعُ) لكائن لا محالة **6**

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُولَئِكَ ﴿٩﴾ قِيلَ الْخَرَّصُونَ ﴿١٠﴾
 الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ ﴿١٣﴾
 ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ
 إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾
 وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾
 وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ قَرِيبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَطْقُونَ ﴿٢٣﴾
 هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾
 فَرَآغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
 قَالُوا لَا تَخَفْ بَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَأَتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾
 قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾



(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) الطرائق الحسنة التي تشبه حبك الرمال و مياه الغدران حين يحركها النسيم

*المجرات لا تتوضع عشوائياً إنما تصطف على خيوط طويلة و دقيقة
 *و يبلغ طول الخيط الواحد مئات الملايين من السنوات الضوئية عندما رأى العلماء هذه الصورة أدركوا على الفور وجود نسيج محكم في السماء فأطلقوا مصطلح (النسيج الكوني)
 *تحدث العلماء عن هذا النسيج طويلاً و وجدوا بأن هذا النسيج هو نسيج مُحكم لأننا إذا تأملنا صورة النسيج الكوني نلاحظ أن لدينا كل خيط تتوضع عليه آلاف المجرات
 *و لا ننس أن كل مجرة فيها مائة ألف مليون نجم و هي تبدو في هذه الصورة كنقطة صغيرة لا تكاد ترى فالنقاط الصغيرة في هذه الصورة النقاط المضيئة هي مجرات
 و نلاحظ أن هذه المجرات تصطف على خيوط دقيقة جداً و كل خيط يبلغ طوله ملايين بل مئات الملايين من السنوات الضوئية و السنة الضوئية!!

*إن هذا النسيج يتحدث عنه علماء الغرب بقولهم إن خيوطه قد شُدَّتْ بإحكام مذهل أي أنه نسيج و أنه محكم وهو أيضاً متعدد يعنى هذا النسيج الكوني لا يتألف من طبقة واحدة إنما هنالك طبقات

بعضها فوق بعض 7

(إِنْ كُنْتُمْ) أيها المكذبون لمحمد ﷺ ما بين مصدق للقرآن و مكذب به

أو ايها المشركون المكذبون للرسول (لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ) لا يلتئم و لا يجتمع

منكم من يقول ساحر و من يقول كاهن و من يقول مجنون و من يقول كاذب و من يقول شاعر

إلى غير ذلك من الأقوال المختلفة الدالة على حيرتهم و شكهم و أن ما هم عليه باطل 8

(يُؤْفَكُ) يصرف

(عَنْهُ مَنْ أُولَى) صُرف عن الإيمان و انصرف قلبه عن أدلة الله اليقينية و براهينه

* و اختلاف قولهم دليل على فساد و بطلانه

(فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ¹⁶ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ¹⁶ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) [الصفات] بفاتنين: مضلين أحداً

—لما أن الحق الذي جاء به محمد ﷺ متفق يصدق بعضه بعضاً لا تناقض فيه و لا اختلاف

و ذلك دليل على صحته و أنه من عند الله

(أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النساء: 82] 9

(قِيلَ) لُعِن

(الْمُفْرَصُونَ) قاتل الله الذين كذبوا على الله و جحدوا آياته و خاضوا بالباطل ليدحضوا به الحق الذين يقولون

على الله ما لا يعلمون 10

(الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ) لجة من الكفر و الجهل و الضلال

(سَاهُونَ) لاهون غافلون 11

(يَسْتَلُونَ) على وجه الشك و التكذيب و العناد و الاستبعاد

(أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ) متى يبعثون مستبعدين لذلك فلا تسأل عن حالهم و سوء مآلهم 12

(يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنَّنُونَ)

يعذبون بسبب ما انطوا عليه من خبث الباطن و الظاهر كما يفتن الذهب على النار 13 و يقال لهم :-

(ذُوقُوا فَنَّتَكُمْ) العذاب و النار الذي هو أثر ما افتنوا به من الابتلاء الذي صيرهم إلى الكفر و الضلال

(هَذَا) العذاب الذي وصلتم إليه هو (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ)

فالآن تمتعوا بأنواع العقاب و النكال و السلاسل و الأغلال و السخط و الوبال 14

(أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ الْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ)

أبعدما وقع عذاب الله بكم -أيها المشركون- آمنتكم في وقت لا ينفعكم فيه الإيمان؟
 و قيل لكم حينئذ: آلاّن تؤمنون به و قد كنتم من قبل تستعجلون به؟
 *يقول تعالى في ذكر ثواب المتقين و أعمالهم التي أوصلتهم إلى ذلك الجزاء:
 (إِنَّ الْمُتَّقِينَ)الذين كانت التقوى شعارهم و طاعة الله دثارهم

جزاء المتقين و أوصافهم 15-19

(فِي جَنَّاتٍ)مشمتملات على جميع أصناف الأشجار و الفواكه التي يوجد لها نظير في الدنيا و التي لا يوجد لها نظير مما لم تنظر العيون إلى مثله و لم تسمع الآذان و لم يخطر على قلوب العباد (وَعُيُونٍ)سارحة تشرب منها تلك البساتين و يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً¹⁵

(ءَاخِذِينَ مَا ءَانْتَهُمْ رَبُّهُمْ)

يحتمل أن المعنى :-

1-أن أهل الجنة قد أعطاهم مولاهم جميع مناهم من جميع أصناف النعيم فأخذوا ذلك راضين به قد قرت به أعينهم و فرحت به نفوسهم و لم يطلبوا منه بدلا و لا ييغون عنه حولا و كل قد ناله من النعيم ما لا يطلب عليه المزيد

2-و يحتمل أن هذا وصف المتقين في الدنيا و أنهم آخذون ما آتاهم الله من الأوامر و النواهي

أي: قد تلقوها بالرحب و انشراح الصدر منقادين لما أمر الله به بالامتثال على أكمل الوجوه
 *و لما نهى عنه بالانزجار عنه لله على أكمل وجه فإن الذي أعطاهم الله من الأوامر و النواهي هو أفضل العطايا التي حقها أن تتلقى بالشكر لله عليها و الانقياد.

*و المعنى الأول ألصق بسياق الكلام لأنه ذكر وصفهم في الدنيا و أعمالهم بقوله:-

(إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ)الوقت الذي وصلوا به إلى النعيم

(مُحْسِنِينَ)و هذا شامل لإحسانهم :-

1-بعبادة ربهم بأن يعبدوه كأنهم يرونه فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم

2-و للإحسان إلى عباد الله ببذل النفع و الإحسان من مال أو علم أو جاه أو نصيحة أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو غير ذلك من وجوه الإحسان و طرق الخيرات.

*كقوله (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) [الحاقة: 24]

حتى إنه يدخل في ذلك الإحسان بالقول و الكلام اللين و الإحسان إلى المماليك و البهائم المملوكة و غير المملوكة

*و من أفضل أنواع الإحسان في عبادة الخالق((صلاة الليل)) الدالة على الإخلاص و تواطؤ القلب

و لهذا قال: (كَانُوا قَلِيلًا) أى المحسنون

(مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) كان هجوعهم أى: نومهم بالليل قليلا

و أما أكثر الليل : فإنهم قانتون لربهم ما بين صلاة و قراءة و ذكر و دعاء و تضرع.

*اختلف المفسرون في ذلك على قولين:- أحدهما:-

أَنْ "مَا" نَافِيَةٌ تَقْدِيرُهُ:- لَكُنُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ لَا يَهْجَعُونَهُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ تَكُنْ تَمْضِي عَلَيْهِمْ لَيْلَةٌ إِلَّا يَأْخُذُونَ مِنْهَا وَلَوْ شِئْنَا.

و قَالَ قَتَادَةُ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ:-

قَلَّ لَيْلَةٌ تَأْتِي عَلَيْهِمْ لَا يُصَلُّونَ فِيهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِمَّا مِنْ أَوَّلِهَا وَإِمَّا مِنْ أَوْسَطِهَا.

و قَالَ مُجَاهِدٌ: قَلَّ مَا يَرْقُدُونَ لَيْلَةً حَتَّى الصَّبَاحِ لَا يَتَهَجَّدُونَ.

و كَذَا قَالَ قَتَادَةُ. وَ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَ أَبُو الْعَالِيَةِ:- كَانُوا يُصَلُّونَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَ الْعِشَاءِ.

و قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ كَانُوا لَا يَنَامُونَ حَتَّى يُصَلُّوا الْعَتَمَةَ.

و الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ "مَا" مَصْدَرِيَّةٌ تَقْدِيرُهُ: كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ هُجُوعُهُمْ وَ نَوْمُهُمْ. وَ اخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

و قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) :

كَابَدُوا قِيَامَ اللَّيْلِ فَلَا يَنَامُونَ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا أَقَلَّهُ وَ نَشِطُوا فَمَدُّوا إِلَى السَّحَرِ حَتَّى كَانَ الْإِسْتِغْفَارُ بِسَحَرٍ.

و قَالَ قَتَادَةُ: قَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) كَانُوا لَا يَنَامُونَ إِلَّا قَلِيلًا ثُمَّ يَقُولُ:

لَسْتُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ.

و قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: كَانَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ يَقُولُ:

عَرَضْتُ عَمَلِي عَلَى عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَإِذَا قَوْمٌ قَدْ بَايَنُونَا بَوْنًا بَعِيدًا إِذَا قَوْمٌ لَا نَبْلُغُ أَعْمَالَهُمْ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ

اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ.

و عَرَضْتُ عَمَلِي عَلَى عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَإِذَا قَوْمٌ لَا خَيْرَ فِيهِمْ يُكَذِّبُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَ يَرْسُلِ اللَّهُ يُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ

بَعْدَ الْمَوْتِ فَوَجَدْتُ مِنْ خَيْرِنَا مَنْزِلَةً قَوْمًا خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّئًا.

*و قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ لِأَبِي:-

يَا أَبَا أُسَامَةَ صِفْ لَنَا أَحَدَهَا فِينَا ذَكَرَ اللَّهُ قَوْمًا فَقَالَ: (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)

و نَحْنُ وَاللَّهُ قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا نَقُومُ. فَقَالَ لَهُ أَبِي: طُوبَى لِمَنْ رَقَدَ إِذَا نَعَسَ وَ اتَّقَى اللَّهَ إِذَا اسْتَيْقَظَ.

و قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَكُنْتُ فِيْمَنْ انْجَفَلَ.

فَلَمَّا رَأَيْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ رَجُلٍ كَذَّابٍ فَكَانَ أَوَّلَ مَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ:-

أَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ وَ أَفْشُوا السَّلَامَ وَ صَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ. الترمذى 2485 17

(وَبِالْأَسْحَارِ) التى هى قبيل الفجر

(هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) الله تعالى فمدوا صلاتهم إلى السحر

ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل يستغفرون الله تعالى استغفار المذنب لذنبه و للاستغفار بالأسحار فضيلة

و خصيصة ليست لغيره كما قال تعالى فى وصف أهل الإيمان و الطاعة:- (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) عمران 17

*مسلم 758 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ:
هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ "18
(وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ) واجب و مستحب

(لِلسَّائِلِ) للمحتاجين الذين يطلبون من الناس (وَالْمَحْرُومِ) الذين لا يطلبون منهم
*البخارى -1479 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَتَانِ
وَلَكِنَّ الْمِسْكِينَ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطِنُ بِهِ فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَ لَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ» 19
*يقول تعالى -داعيًا عباده إلى التفكير و الاعتبار:- (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ)

و ذلك شامل لنفس الأرض وما فيها من جبال و بحار و أنهار و أشجار و نبات تدل المتفكر فيها المتأمل
لمعانيها على عظمة خالقها و سعة سلطانه و عميم إحسانه و إحاطة علمه بالظواهر و البواطن.
*و كذلك فى نفس العبد من العبر و الحكمة و الرحمة ما يدل على أن الله وحده الأحد الفرد الصمد

آيات الله و عظمته و قدرته 20-23

و أنه لم يخلق الخلق سدى 20

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) قَالَ قَتَادَةُ: مَنْ تَفَكَّرَ فِي خَلْقِ نَفْسِهِ عَرَفَ أَنَّهُ إِمَّا خُلِقَ وَ لُيِّنَتْ مَقَاصِلُهُ لِلْعِبَادَةِ 21
(وَفِي السَّمَاءِ) مادة (رَزَقَكَ) من الأمطار و صنوف الأقدار الرزق الدينى و الدنيوى
(وَمَا تُوعَدُونَ) من الجزاء فى الدنيا و الآخرة فإنه ينزل من عند الله كسائر الأقدار 22
*فلما بين الآيات و نبه عليها تنبيهاً ينتبه به الذكى اللبيب أقسم تعالى على أن وعده و جزاءه حق و شبه ذلك
بأظهر الأشياء لنا و هو النطق فقال:-

(فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَنْطِقُونَ)

فكما لا تشكون فى نطقكم فكذلك لا ينبغى الشك فى البعث بعد الموت 23

(هَلْ) أما (أَنْتَ) جاءك

قصة ضيف ابراهيم 24-37

(حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِ) و نبأهم الغريب العجيب

و هم: الملائكة الذين أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط و أمرهم بالمرور على إبراهيم فجاءوه فى صورة أضياف 24
(إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ) مجيباً لهم

(سَلَامٌ) عليكم -فرده افضل من التسليم كقوله:

(وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا) [النساء: 86]

أنتم(قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) جبريل و ميكائيل و اسرافيل قدموا في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة

لهذا قال(قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) فأحب أن تعرفوني بأنفسكم و لم يعرفهم إلا بعد ذلك²⁵

(فَرَّاغٌ) ذهب سريعاً في خفية ليحضر لهم قراهم

(إِلَى أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ)

(وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ خَنِينٍ)^[هود: 69] مشوى على الرّضف²⁶

(فَقَرَّبَهُ) أدناه(إِلَيْهِمْ) منهم و عرض عليهم الأكل

* وَ هَذِهِ الْآيَةُ انْتَضَمَتْ آدَابُ الصِّيَافَةِ:

1- فَإِنَّهُ جَاءَ بِطَعَامِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ بِسُرْعَةٍ

2- وَ لَمْ يَمْتَنِ عَلَيْهِمْ أَوَّلًا فَقَالَ: "نَأْتِيكُمْ بِطَعَامٍ؟"

3- بَلْ جَاءَ بِهِ بِسُرْعَةٍ وَ خَفَاءٍ وَ أَتَى بِأَفْضَلِ مَا وَجَدَ مِنْ مَالِهِ وَ هُوَ عِجْلٌ فَتَيَّ سَمِينٌ مَشْوِيٌّ

4- فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ لَمْ يَضَعْهُ وَ قَالَ: اقْتَرِبُوا بَلْ وَضَعَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

5- وَ لَمْ يَأْمُرْهُمْ أَمْرًا يَشُقُّ عَلَى سَامِعِهِ بِصِغَةِ الْجَزْمِ بَلْ (قَالَ):-

(أَلَا تَأْكُلُونَ) عَلَى سَبِيلِ الْعَرْضِ وَ التَّلَطُّفِ حِينَ رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ

كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ الْيَوْمَ: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَتَفَضَّلَ وَ تُحْسِنَ وَ تَتَصَدَّقَ فَافْعَلْ ﴿٢٧﴾

(فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ) أحسَّ في نفسه(خِيفَةً) خوفاً منهم

(قَالُوا لَا تَخَفْ) و أخبروه بما جاؤوا له

* (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ) [هود: 70]

(وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) بأن زوجته «سَارَةَ» ستلد له ولداً و هو:- إسحاق عليه السلام

* (وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) [هود: 71]

* البشارة له هي بشارة لها. فلما سمعت المرأة البشارة²⁸

(فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ) فرحة مستبشرة

(فِي صَرَقٍ) صيحة و رنة- و هي قولها [يا ويلتى] (ليس المراد صُرة بضم الصاد و هي كيس المتاع او النقود)

(فَصَكَّتْ وَجْهَهَا)

و هذا من جنس ما يجرى من النساء عند السرور و نحوه من الأقوال و الأفعال المخالفة للطبيعة و العادة

* لطمت تعجبا كما تتعجب النساء في الامر الغريب

(وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) أى: أنى لى الولد و أنا عجوز

1- قد بلغت من السن ما لا تلد معه النساء و مع ذلك

2-فأنا عقيم غير صالح رحمي للولادة أصلا

و قد كنت في حال الصبا لا أحبل فثم مانعان كل منهما مانع من الولد

3-و قد ذكرت المانع الثالث في سورة هود بقولها: (وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) [هود: 72] 29

(قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ ط) الله الذى قدر ذلك و أمضاه فلا عجب فى قدرة الله تعالى

(إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ) فى اقواله و افعاله

*الذى يضع الأشياء مواضعها و قد وسع كل شيء علماً فسلموا لحكمه و اشكروه على نعمته.

(الْعَلِيمُ) بما تستحقون من الكرامة 30